مقـامَـــــة الـهـمّـــــة

 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

أمطــــري لؤلـــؤاً سـماء سـرنديب	وفيضي آبار تكرور تِــبرا
أنا إن عشت لست أعـدم خـبزاً	وإذا مت لست أعـدم قـبرا

السـلام على أهل الهمم ، فهم صـفوة الأمم ، وأهل المجد والكرم ، طارت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود ، ومطالع السعود ، ومراتب الخلود ، ومن أراد المعالي هان عليه كل همّ ، لأنه لـولا المشـقة سـاد النـاس كلهم ، ونصوص الوحي تناديك ، سـارع ولا تلبث بناديك ، وسـابق ولا تمكث بواديك ، أُمية بن خلف ، لما جلس مع الخلف ، أدركه التلف ، ولما سمع بلال بن ربـاح ، حي على الفلاح ، أصبح من أهل الصلاح .

اطلب الأعلى دائمـاً وما عليك ، فـإن موسى لما اختصه الله بـالكلام ، قـال : رَبِّ أَرِنِي أَنظُـرْ إِلَيْـكَ ، المجد ما يـأتي هبة ، لكنه يحصل بالمناهبة ، لمَّا تعلمت الصـيد الكلاب ، أبيح صـيدها بنص الكتـاب ، ولما حمل الهدهد الرسالة ، ذكر في سـورة النمل بالبسـالة ، نجحت النملة بالمثابرة ، وطول المصابرة ، تريد المجد ولا تَجِدّ ؟ تخطب المعالي ، وتنام الليالي ، ترجو الجنة ، وتفـرط في السنّة .

قام رسولنا حتى تفطّرت قدماه ، وربط الحجر على بطنه من الجوع وهو العبد الأوّاه ، وأدميت عقباه بالحجارة ، وخاض بنفسه كل غارة .

يُـدعى أبو بكر من الأبـواب الثمانية ، لأن قلبه معلق بربه كل ثانية ، صرف للدين أقواله ، وأصلح بالهدى أفعاله ، وأقـام بـالحق أحواله ، وأنفق في سـبيل الله أمواله ، وهاجر وترك عياله .

لبس عمر المرقّع ، وتـــأوّه من ذكر المـــوت وتوجّع ، وأخذ الحيطة لدينه وتوقّع ، عــدل وصــدق وتهجد ، وســأل الله أن يستشهد ، فرزقه الله الشهادة في المسجد .

عليك الجِد إن الأمر جَد وليست كما ظننت ولا وهمتا
وبـــادر فالليـــالى وأنت بمقلة

اخرج من سرداب الأمـاني ، يا أسـير الأغـاني ، انفض غبـــار الكسل ، واهجر من عـــذل ، فكل من ســـار على الدرب وصل ، نسيت الآيات ، وأخّرت الصـلوات ، وأذهبت عمرك السهرات ، وتريد الجنات ؟!

ويلك والله ما شـبع النمل حـتى جـدّ في الطلب ، وما ساد الأسد حتى افـترس ووثب ، وما أصـاب السـهم حـتى خرج من القـوس ، وما قطع السـيف حـتى صـار أحـدّ من الموس .

الحمامة تبـــني عشـــها ، والحمّـــرة تنقل قشـــها ، والعنكبــوت ، يهنــدس الــبيوت ، والضب يحفر مغــاره ، والجــرادة تبــني عمــارة ، وأنت لك مــدة ، ورأسك على المخدة ، في الحديث : ((احــرص على ما ينفعك)) ، لأن ما ينفعك يرفعك ، ((المؤمن القــوي خـير وأحب إلى الله من المـؤمن الضـعيف)) ، بـالقوة يبـنى القصر المـنيف ، وينادل المجد الشريف .

همة تنطح الثريا نبـــوي يزعـــزع

صـــاحب الهمة ما يهمه الحـــرّ ، ولا يخيفه القـــرّ ، ولا يزعجه الضرّ ، ولا يقلقه المرّ ، لأنه تدرع بالصبر .

صـــــــاحب الهمة ، يســـــــبق الأمة ، إلى القمة ، ﴿ وَالسَّــابِقُونَ السَّــابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُــونَ ﴾ ، لأنهم على الصالحات مدربون ، وللبر مجربون .

الثعلب يرضى بالجيفة ، فكتب في آخر الصــحيفة ، لو أســرع الحمـار مثل الحصـان ، لكـان من الهـوان يُصـان ، الشمس تجري ، والقمر يسري ، وأنت نائم لا تدري ، أنت أكول شروب ، لعوب طروب ، صاحب ذنوب .

لا يـــدرك المجد إلا سـيد فطن ... لما يشق على السادات فعّال

لما تجرع الأحنف غصص الغضب ، صار حليم العـرب ، ولما بـذل روحه للمـوت عنـترة ، شـبهوه بقسـورة ، ولمّا بذل حاتم ، طعامه لكل قادم ، وأنفق أمواله في المواسم ، صــار مضـــرب المثل في الجـــود ، وقصة الكـــريم في السهول والنجود .

لما طــار القمــري قعد فــوق الأغصــان ، ولما مشى الجعلان بقي مع الديدان ، سافر العود من الهند ، فسُــمي بالند ، وأقام بأرضه الخشب ، فسماه الناس الحطب .

اديسون مكتشف الكهرباء ، قضى عمـره في اختراعه حتى أذهل به الحكماء ، فلا نامت أعين الأغبياء .

مكتشف الذرة ، أجرى عليها التجربة عشرة آلاف مره .

عمي بعض المحـدِّثين من كـثرة الرواية ، فما كـلَّ ولا ملَّ حتى بلغ النهاية ، مشى أحمد ابن حنبل من بغـداد إلى صـنعاء ، وأنت تفـتر في حفظ دعـاء ، سـافر أحـدهم إلى مصر ، غدوّه شهر ، ورواحه شهر ، في طلب حـديث واحد ، ليـــدرك به المجد الخالد ، لـــولا المحنة ، ما دعي أحمد إمـــام الســـنة ، وصل بالجَلْد إلى المجد ، ووضع ابن تيميه في الزنزانة ، فبز بـالعلم زمانه . واعلم أن المـاء الراكد ، فاسد ، لأنه لم يسـافر ويجاهد ، ولما جـرى المـاء ، صــار مطلب الأحيـــاء ، بقيت على ســـطح البحر الجيفة ، لأنها خفيفة ، وسافر الـدر إلى قـاع البحـر، فوضع من التكـريم على النحر .

فكن رجلاً رجله ... وهامة همته في

يا كثير الرقاد ، أما لنومك نفـاد ، سـوف تـدفع الثمن ، يا من غلبه الوسن ، تظن الحيــاة جلسة وكبسة ، ولبســةٌ وخلسة ، بل الحياة شرعة ودمعة ، وركعة ومحاربة بدعة .

الله أمرنا بالعمل لينظر عملنا ، وقـــــــال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا ﴾ ، فالحيـاة عقيـدة وجهـاد ، وصــبر وجلاد ، ونضــال وكفــاح ، وبر وفلاح، لا مكــان في الحيـــاة للأكـــول الكســـول ، ولا مقعد في حافلة الـــدنيا للمخذول .

علو في الحيـــــاة بحق أنت إحـــــدى

ابدأ في طلب الأجر من الفجر ، قراءة وذكر ، أو دعاء وشكر، لأنها لحظة انطلاق الطــير من وكورها ، ولا تنس : ((بارك الله لأمتي في بكورها)) .

العــالم في حركة ، كأنه شــركة ، وقلبك خربة ، كأنك خشــبة ، الطــير يغـرّد ، والقمـري ينشد ، والمــاء يتمتم ، والهـواء يهمهم ،والأسـود تصـول ، والبهـائم تجـول ، وأنت جثة على الفــراش ، لا في أمر عبــادة ولا معــاش ، نــائم هائم ، طروب لعوب ، كسول أكول .

اسـتيقظ على نـبرات الخطـاب الشـرعي ، ودعنا من وسـاوس الهـاجس البـدعي ، لأن الشـريعة ، تـدعو للهمة البديعة ، تقــول لأتباعها : فما وهنــوا لما أصـــابهم ، لأنهم حملــوا كتــابهم، وألقــوا للعــالم خطــابهم ، فهـداهم ربهم صوابهم .

وأهل السوالف ، رضوا بـأن يكونـوا مع الخوالف ، لأن لهم في الضلالة سـوابق ، فهم يتصـيدون كل مـارق ، عن الحق آبق ، ولو علم الله فيهم خـــيراً لأســـمعهم ، فهبـــوا وتركوا مضجعهم ، ولو أراد الله بهم خـيراً لأغـاثهم ، ولكن كره الله انبعاثهم .

الفــرس بهمته يعض لجامه ويلــوك ، فركبه الملــوك ، والحمار آثر المقام في الرباط ، فضرب بالسياط :

ســـوف تـــرى إذا أفـــــرس تحتك أو

يقدم لك ابن جرير ، كتـاب التفسـير ، محققـاً منقحا ، مدبّجا مصحّحا ، ثم لا تصطفيه ، ولا تقرأ فيه .

ألَّف ابن حجر فتح البــاري في ثلاثين ســنة ، فلله دره ما أجمل كتابه وأحسنه ، ثم تهمله في الــرف ، كأنه دف ، مع الأسف .

 وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ .

ولو كــان في قلب لســار علي الأقــدام

هذا الكافر مثـابر ، كل يـوم مغـامر ، سـيَّر في الأرض السيارة ، وأطار في السماء الطيارة ، جعل لغذاءك ثلاجة ، ولمــــاءك زجاجة ، ومالك عمل إلا أن تأكل وتشـــــرب ، وتلهو وتلعب .

ولا تقل الصبا فيه مجـــــــــــــال وفكـركم صـبي قد دفنتا
تفر من الهجـــــير فهلاًّ من جهنم قد

أنت تفــــتر والملائكة لا يفــــترون ، وتســـــأم العمل والمقربـون لا يسـأمون ، بم تـدخل الجنـة، هل طعنت في ذات الله بالأســــنة ، هل أوذيت في نصر الســــنة ، انفض عنك غبــار الخمــول ، يا كســول ، فبلال العزيمة أذن في أذنك فهل تسمع ، وداعي الخير دعاك فلماذا لا تســرع . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اسْـتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَـاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

ولابد للهمم الملتهبة أن تنـال مطلوبها ، ولابد للعـزائم المتوثبة أن تــدرك مرغوبها ، ســنة لا تتبــدّل ، وقضــية لا تتحوّل .

جـزى الله المسـير وإن تـــرك المطايا

واعلم أن الهمة توقد القلب ، واستســهال الصــعب ، وركوب الخطب ، فالعذاب بالهمة عذب . ومن عنـده همة عارمة ، وعزيمة صــارمة ، اقتحم بها أســوار المعــالي ، وصار تاريخه قصة الليالي .

فقل للمتخلفين اقعــدوا مع الخــالفين ، لأن المنــازل العالية ، والأمــــاني الغالية ، تحتـــاج إلى همم مــــوّاره ، وفتكات جبارة ، لينال المجد بجدارة .

وقل للكسـول النـائم ، والثقيل الهـائم ، امسح النـوم من عينيك ، واطرد الكرى من جفنيك ، فلن تنـال من مـاء العزة قطرة ، ولن تـرى من نـور العلا خطـرة ، حـتى تثب مع من وثب ، وتفعل ما يجب ، وتأتي بالسبب .

أقسمت أن أوردها حـــــــــــــــرة	**وقاحة تحت غلام وقـــــــــــــاحْ**
إما فـــتى نــــال المــنى فاشــتفى	**أو فــــــارس زار الــردى فاســتراحْ**
إذا سـألت الله في كلـــــــــما	**أملته نلت المـــنى والنجـــــــاحْ**

ألا فليهنأ أربـــــاب الهمم ، بوصــــول القمم ، وليخسأ العــاكفون على غفلاتهم في الحضــيض ، فلن يشــفع لهم عند ملكوت الفضل نومهم العريض ، وقل لهؤلاء الراقدين ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِـالْقُعُودِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ فَاقْعُـدُوا مَـعَ الْخَـالِفِينَ ﴾ فهُـبّــوا إلى درجـات الكمـال نسـاءً ورجـالا ، ودربـوا على الفضيلة أطفالا ، وانفروا خفافاً وثقالا .

مقـامَـــــة الـبخــلاء

﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾

إني نــزلت بكــذابين ضــــــــــــــيفهم … عن القـــــرى وعن الترحــــال مـــردود

البخيل نذل ، والبخل خلق رذل ، وحسبك أن الرسـول ﷺ اســتعاذ من البخل ، وليت البخيل إذا علا مــات ، لأن له على بخله علامــات ، فمنها أن يفقد الصــواب ، إذا طُـرق البــاب ، ويُكــثر الســباب ، عند رؤية الأجنــاب ، وإذا رأى الضــيف ضــاق صــدره ، والتبس عليه أمــره ، فتعلــوه قشــعريرة ، ويقع في حــيرة ، ومنها أن يكــثر الأعــذار ، ليخرج نفسه من هذه الأخطار ، وإذا قام بضيافة ، نـوّه بها وهوّ لها كأنه تولى الخلافة .

يذم الأجواد ، ويمـدح الاقتصـاد ، يتفجع إذا رأى طعامه يغرف من القدر ، تفجع الخنساء على أخيها صخر ، أوصى بخيل ولده ، وقد قطع بالإنفاق كبده ، فقال يا بني ما هــذا الإسراف ، يا أيها المتلاف ، أما تخشى أما تخاف ، ما تؤثر فيك النصائح ، ولا تخـاف الفضـائح ، أين من كـان يقتصد ، ويحفظ ماله ويجتهد ، كـــان أحـــدهم رحمه الله يضع ماله في صُره ، لِئلا يؤخذ على غِرّة ، ثم يُخرج الصرّة ، في كل سنة مـرّة ، فيقـرَأُ عليها المعـوذات ، وأعـوذ بكلمـات الله التامات ، كـان الرغيف يسد رمقه من الصـباح إلى الليل ، لأنه يعلم أن الــدهر أبو الويل ، فخلف من بعــدهم خلف ، فيهم كل مسرف جلف ، يأكل في اليوم ثلاث وجبات ، ولا يتفكر في مصارع الأموات ، ليرتدع من هذه الزلات.

أما أخبار البخلاء ، فقد جمعها بعض الأدباء .

فمنها أن بخيلاً دخل بيته ونسي أن يغلق البـــــــاب ، فدخل على إثره فقير ممزق الثيــاب، فناوله البخيل قطعة خــبزة ، ثم أخذ حبلاً وربطه وحــزّة ، وقــال والله لا أتركك تخيف مسلماً هذه الليلة ، أو تروع مؤمناً بكل حيلة .

وقـــدّم بخيل الطعـــام لضـــيوفه ، ثم جلس مهمومـــاً محســـورا ، وقـــال : إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جـزاءً ولا شـكورا ، وطـرق فقـير بـاب بخيل ، وقد أظلم الليل ، فلم يفتح البخيل بابه ، ولم يرفع حجابه ، فصـــاح الفقـير بصـوت كسـير : أين من كـانوا يفرحـون إذا رأوا أضـيافا ، فـرد البخيل بقوله : مـاتوا مع الـذين لا يسـألون الناس إلحافا .

وأعطى أحد الوزراء بخيلاً مائة ألف دينار ، حتى أصبح بها من الأغنياء الكبـار ، فقـال له جيرانه ، هنيئـاً لك المبلغ الكبير ، فقـال : والله ما هو بكثـير ، وعنـدي زوجة وطفل صغير ، فإذا أراد أن يخرج منها دينارا ، قبَّله مرارا ، وقـال : بأبي أنت وأمِّي ، ما أطيبك حيّا ، وما أطيبك ميتا .

وقـال فقـير لبخيل أعطـني درهمـاً فقط ، فقـال هـذا غلط ، وجـور وشـطط ، لأن الـدرهم مع الـدرهم ، مائة درهم ، ثم يزيد إلى ألف ، ثم إلى مائة ألف ، فتريد أن تهدم مالي ، وتجوع عيالي بسؤالي ، وافرض أنني أعطيت درهما ، فلن ألبث حتى أصير مثلك معدما ، فـأنت تريد أن تغشنا فارحل عنا ، ومن غشّنا فليس مِنّا .

ودخل رجل أكول على بخيل فقدم له غـداءه ، وجلس حذاءه ، وقال له يوصيه ، اجعل ثلث بطنك للغـذاء ، وثلثـاً للماء ، وثلثـاً للهـواء ، قـال الأكـول : بل كلها للطعـام ، يا سيد الكرام ، لأن الماء سوف ينش ، والهواء سوف يفش ، فقال البخيل : أنا منذر محذر ، ومن أنذر فقد أعذر .

واعلم أن البخيل كثير الأعذار ، دائم الإنذار ، فإن جئته مبكراً قال : مالك تقدمت، وإن أبطأت قليلاً قـال : هـداك الله تأخرت ، إذا حل به ضيف نسي الترحيب ، وقال : هذا يـوم عصـيب ، وإن طـرق بيته طـارق ، رآه كأنه سـارق ، وإذا دخل عليه الضـــيف قلل الكلام ، وأكـــثر على أهله السب والخصام ، ولا يسأل الضيف عن أخبـاره ، بل تـراه كثـير القيـام والقعـود بـداره ، وتـراه لا يـترك في الـبيت صـــغيرة ولا كبـــيرة إلا أحصـــاها، فهو يعـــرف ما له علاقة بالنفقة قد ضـبطها ووعاها ، إذا نقص دينه ذكر المعـاذير ،

وأن الإنسان لا يسلم من التقصير ، فإذا أراد أحد التعـرض لشيء من ماله ، أنكر بقلبه ويده ولسـانِه ، وأظهر الحمية والأخذ بالثـأر ولو من إخوانه ، قد هيأ العــذر لكل حاجه ، وإلاّ لَمْ يَجِدْ استعمل الغضب واللجاجة ، فإن أتاه طـالب ، ووفد إليه راغب ، قال الحقوق كثيره ، والحاجات كبـيرة ، ويعيد عليك متن خـير النـاس ، من لا يحتـاج إلى النـاس ، وأفضلهم من كف عنه الباس .

ومن وصايا البخيل : عليكم يـا إخـوان بحفـظ المـال ، فإنه لا يعلم أحد بتغير الأحوال، والدنيا من حال إلى حال ، ولن ينفعك إلا مالك ، ولن يقف معك أعمامـك وأخوالـك ، واذكروا يا إخـوان تقلب الزمـان ، وقلـة الأعـوان ، فـرحم اللـه من أمسـك دينـاره، وأغلـق داره، ولم تخدعـه الـدنيا الغراره ، فعليكم بالاقتصـاد ، فإنـه مـذهب الأجـواد ، فقـد أدركنــا أقوامــاً من الصــالحين ، كـانوا يكيلــون الطحين ، ويقتصـدون حـتى في شـرب المـاء، لِئلا تـذهب أقـوالهم هبــاء ، ومنهم من كـــان يفــترش الــتراب ، وينـــام على الأخشــاب ، ومنهم من كـــان يكتفي بوجبـــة ، في اليـــوم واحـدة ، ليغيـظ بجمـع المـال حاسـده ، ثم يقـول : وقـد أدركت قومـاً من الأوليـاء ، ينـامون بلا عشـاء ، ويكتفـون بالفطور عن الغداء ،وكان أحدهم إذا حدثته نفسُه الأمــارة بالسُّوء بشـراء طعـام ، لامهـا أشـد الملام ، وخطمهـا عن شهواتها بخطام ، وزمّها عن رغباتها بزمـام ، ولقـد أدركت عبداً من الأبرار ، ووليا من الأخيار ، حدثته نفسه الأمـارة ، بشراء خيارة ، فرجع على نفسه بالتوبيخ ، وأقسم لهــا لن يعطيها هواها ولو أرادت قطعة من البطيخ ، لأن القوم لما صحت منهم العقول ، تركوا الفضـول ، وحفظـوا أمـوالهم من كـل مسـرف جهـول ، ولقـد أدركنـا مـريم العابـدة ، المقتصدة الزاهدة ، وكانت تبيع الفصفص ، ولهـا في ذلـك علم وتخصص ، فإذا اجتمع لها ريال ، وضعتها وراء الأقفال ، وأقسمت بالله لا يزال حتى تزول الجبال ، وكانت رحمها الله ، إذا ظمأ الحمار ، ابطأت عليه بالماء ولو كـان المــاء في الــدار ، لتعـوّده التحمــل والاصـطبار ، وكــانت تأخــذ النخالـة من الشـعير ، فتجعلهـا كـالخبز الفطـير ، وكـانت

تمشي بين القرى ، تجمع قطع الفرى، وكلما وجدت عوداً أخذته ، وإذا مرت بحب جمعته ، فلا يأتي المساء ، إلا وقد أدركهـا الإعيـاء ، لكن يهـون التعب ، ويـذهب النصـب ، إذا تذكرت صروف الأيام ، وطول الأعوام ، قال : وقد أدركت شيخاً كبيرا ، كان بالأيام بصيرا ، بقي عليـه ثوبـه عشـرين عاما ، حتى أصبح الثـوب ألوانـاً وأقسـاما ، فكلمـا انخـرق الثوب خاطه برقعة، حتى صـار مائـة بقعـة ، ثم جـاء قـوم من المبذرين ، لا يحبّون المنذرين ، يفني أحدهم ثوبـاً كـل عام ، ولا يخاف العذاب والملام ، قال : ولقد أدركت حامد المقتصد ، وكان في حفظ المال يجتهد ، بقيت معه حذاؤه عشر سنوات ، وكـان يمشـي حافيـاً في الفلـوات ، وربمـا حمل حذاءه بيده الكريمة ، خوفاً من العـواقب الوخيمـة ، فإذا نام جعلها تحت رأسه ، حرصاً عليها من غدر السّـارق وبأسه ، فانظر حرصـهم رحمهم اللـه على حفـظ المـال ، وعدم اغـترارهم بلـوم الرجـال ، فـأين حالنـا من حـالهم ، ولذلك لا يقارن مالنا بمالهم ، ثم بكى حتى كادت أضـلاعه تختلف ، وأخذ يقول ما أحسن أخبار من سـلف، ومـا أكـثر إسراف هؤلاء الخلف .

مقـامَــــة الـسـعـادة

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

دع الأيام تفعل ما تشـــــــــاء وطب نفســــاً إذا حكم القضـــــاء
ولا تجـزع لحادثـة فمـــا لحـــوادث

قال الراوي : جاءنا رجل مهموم ، قد أنهكته الغمـوم ، فهو من الحـزن مكظـوم ، فقـال : أيهـا النـاس ، حـل بنـا البــأس ، وذهب منــا الســرور والإينــاس ، وتفــرد بنــا الشــيطان ، فأســقانا حميم الأحــزان ، فهــل منكم رجــل رشيد ، رأيـه سـديد ، يصـرف عنـا هـذا العـذاب الشـديد ، فقام شيخ منا ، ينوب عنا ، وهو أكبرنا سـنا ، فقـال : أيهـا الرجـل الغـريب ، شـأنك عجيب ، تشـكوا الهم والوصـب ، والغم والنصب ، وأراك لم يبق منك إلا العصب، أما تـدعوا الرحمن ، أما تقرأ القرآن ، فإنه يـذهب الأحـزان ، ويطـرد الوحشة عن الإنسـان ، ثم اعلم وافهم ، لتسـعد وتسـلم ، إن من أعظم الأمــــور ، في جلب الســـــرور ، الرضـــــا بالمقدور ، واجتناب المحذور ، فلا تأسـف على مـا فـات ، فقد مات ، ولو أنـه كنـوز من الـذهب والجنيهـات ، واتـرك المستقبل حـتى يقبـل ، ولا تحمـل همـه وتنقـل ، ولا تهتم بكلام الحساد ، فلا يحسد إلا من سـاد ، وحظي بالإسـعاد ، وعليك بالأذكـار ، فيهـا تحفـظ الأعمـار ، وتـدفع الأشـرار ، وهي أنس الأبرار ، وبهجة الأخيار ، وعليك بالقناعة ، فإنهـا أربح بضاعة ، واملأ قلبك بالصدق ، واشغل نفسك بالحق ، وإلا شغلتك بالباطل ، وأصبحت كالعاطـل ، وفكـر في نعم الله عليك ، وكيف ساقها إليك ، من صحة في بدن ، وأمن في وطن ، وراحـة في سـكن ، ومـواهب وفطن ، مـع مـا صرف من المحن ، وسلم من الفتن ، واسـأل نفسـك في النعم التي بين يديك ، هل تريد كنوز الدنيا في عينيـك ؟ أو أموال قارون في يديك ؟ أو قصور الزهـراء في رجليـك ؟ أو حدائق دمشق في أذنيك ؟ وهـل تشـتري ملـك كسـرى

بأنفك ولسانك وفيك ، مع نعمة الإسـلام،ومعرفتـك للحلال والحــرام ، وطاعتــك للملــك العلام ، ثم أعطــاك مــالاً ممدودا ، وبنين شهودا ، ومهّد لك تمهيدا ، وقد كنت وحيدا فريـدا . واذكـر نعمــة الغـذاء والمــاء والهـواء ، والــدواء والكساء ، والضياء والهناء مع صرف البلاء ، ودفع الشقاء .

ثم افرح بما جرى عليك من أقدار ، فأنت لا تعرف مـا فيها من الأسرار ، فقابـل النعمـة بالشـكر ، وقابـل البليـة بالصبر ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، واغفـر لكـل من قصّر في حقك وأساء ، واغسل قلبك سبعاً من الأضـغان ، وعفّره الثامنة بالغفران ، وانهمك في العمل ، فإنـه يطـرد الملـل ، واحمـد ربـك على العافيـة ، والعيشـة الكافيـة ، والسـاعة الصـافية ، فكم في الأرض من وحيـد وشـريد ، وطريـد وفقيـد ، وكم في الأرض من رجـل غلب ، ومـال سلب ، وملكه نهب ، وكم من مسجون ، ومغبون ومديون ، ومفتون ومجنون ، وكم من سقيم ، وعقيم ويـتيم ، ومن يلازمه الغريم ، والمرض الأليم

واعلم أن الحيـاة غرفـة بمفتـاح ، تصـفقها الريـاح ، لا صخب فيها ولا صياح ، وهي كما قال ابن فارس :

مــاء وخــبز وظل	**ذاك النعيم الأجل**
كفـرت نعمة ربي	**إن قلت إني مقل .**

واعلم أن لكــل بــاب من الهم مفتــاح من الســرور ، للذنب رب غفور ، والفلـك يـدور ، وأنت لا تـدري بعـواقب الأمور ، وملك كسرى تغني عنه كسرة ، ويكفي من البحر قطرة ، فلا تـذهب نفسـك على الـدنيا حسـرة ، ولا تتوقـع الحوادث ، ولا تنتظـر الكـوارث ، ولا تحـرم نفسـك لتجمـع للــوارث ، ويغنيــك عن الــدنيا مصــحف شــريف ، وبيت لطيف ، ومتاع خفيف ، وكوز ماء ورغيف ، وثوب نظيف .

والعزلــة مملكــة الأفكــار ، والــدواء كــل الــدواء في صـيدلية الأذكـار ، وإذا أصـبحت طائعـاً لربـك ، وغنـاك في قلبك ، وأنت آمن في سربك ، راضٍ بكسبك ، فقد حصلت على السعادة ، ونلت الزيادة ، وبلغتَ السيادة .

واعلم أن الدنيا خداعة ، لا تساوي همّ ساعة ، فاجعلها طاعة .

فلمـــا انتهى من وعظـــه ، أعجب بلفظـــه ، وحســـن لحظه ، وقال له : جزاك اللـه عـني أفضـل الجـزاء ، فقـد صار كلامك عندي أشرف العزاء .

مقـامَــة الفــرج بعـد الشــدة

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

عسى فــرج يكــون عسى
نعلل أنفســــــــنا بعسى
فلا تجــزع إذا حملت همــاً
فــأقرب ما يكــون المــرء

إذا ضــاق الأمر اتسع ، وإذا اشــتد الحبل انقطع ، وإذا اشـتد الظلام بـدا الفجر وسـطع ، سـنة ماضـية ، وحكمة قاضية ، فلتكن نفسك راضية ، بعد الظمأ ماء وظل ، وبعد القحط غيث وطل ، يا من بكى من ألمه ، ومرضه وكدّه ،يا من بــالغت الشــدائد في رده وصــده ، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمـر من عنده :

دع المقــادير تجــري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالـي البالـي
ما بين غمضــة عين
يغيّر الله من حـــال

مـا عرفنـا لكـثرة حزنـك عـذرك ، سهِّل أمـرك ، وأرح فكرك ، أما قرأت ألم نشرح لك صدرك ، ألا تفــرح ، وفي عالم الأمل تسرح ، وفي دنيا اليســر تمــرح ، وأنت تســمع ألم نشرح ، يامن شكا الخطـوب ، وعـاش وهـو منكـوب ، ودمعــه من الحــزن مســكوب ، في قميص يوســف دواء عيني يعقوب ، وفي المغتسل البارد شفاء لمرض أيوب .

الغمــــــــرات ثم يـــــذهبنا ولا
ثمت

للمرض شفاء ، وللعلـة دواء ، وللظمـأ مـاء ، وللشـدة رخاء ، وبعد الضراء سراء ، وبعد الظلام ضياء ، نار الخليل تصبح باليسر كالظل الظليـل ، والبحـر أمـام موسـى يفتح السـبيل ، ويـونس بن مـتى يخــرج من الظلمــات الثلاث بلطف الجليل .

المختار في الغار ، أحـاط بـه الكفـار ، فقـال الصِدِّيق هم على مســافة أشــبار ، ونخشــى من الــدمار ، فقــال

الواثق بالقهار ، إن الله معنا ، وهو يسمعنا ، ويحمينا كما جمعنا .

هي الأيام والغير ... وأمر الله ينتظر
أتيأس أن ترى ... فأين الله والقدر

قل لمن في حضيض اليأس سقطوا ، وعلى الشؤم هبطوا،وفي مسألة القدر غلطوا ، اعلموا أنه ينزل الغيث من بعد ما قنطوا ، كان بلال يسحب على الرمضاء ، ثم رفع على الكعبة لرفع النداء ، وإسماع الأرض صوت السماء .كان يوسف مسجوناً في الدهليز، ثم ملك مصر بعد العزيز ، كان عمر يرعى الغنم في مكة ، ثم نشر بالعدل مُلكه ، وطبعت باسمه السَّكة ، وهو الذي قطع حبل الجور وفكَّه ، وسحق صرح الطغيان ودكَّه .

يا من داهمته الأحزان ، وأصبح وهو حيران ، وبات وهو سهران ، ألم تعلم أنه في كل يوم له شأن ، يا من هده الهم وأضناه ، وأقلقه الكرب وأشقاه ، وزلزله الخطب وأبكاه ، أنسيت من يجيب المضطر إذا دعاه .

إذا اشتملت على اليأس القلوب ... وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت ... وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر نفعاً ... وما أجدى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط ... يمن به اللطيف

سيجعل الله بعد عسر يسراً ، ولا تدري لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً .

سينكسر قيد المحبوسين ، في زنزانات المتجبرين ، وسيسقط سوق الجلادين ، الذي قطعوا به جلود المعذبين ، وسيمسح دمع اليتامى ، وتهدأ أنات الأيامى ، وتسكن صرخات الثكالى . هل رأيت فقيراً في الفقر أبداً ، هل أبصرت محبوساً في القيد سرمداً ، لن يدوم الضر لأن هناك أحداً فرداً صمداً .

من أكـثر من الاسـتغفار جعـل اللـه لـه من كـل ضـيق مخرجـا ، ومن كـل همٍّ فرجـا،بلا حـول ولا قـوة إلا باللـه تحمل الأثقال ، وتسهل الأهوال ، وتصلح الأحوال ، ويشرح البال ويرضى ذو الجلال . بشر الليل بصبح صادق يطـارده على رؤوس الجبال ، وبشر القحط بماء زلال ، يلاحقه في أعماق الرمـال ، وبشـر الفقـير بمـال ، يزيـل عنـه الإملاق والأمحال :

مقامة الفرج بعد

لا تيأس عند النـوب ... من فرجــــة تجلو الكــــرب
واصـبر إذا ما نــاب خطب ... فالزمان أبو العجـب
وتــرج من روح الإله ... لطـائفـاً لا تحتـسب

واعلم أن لكل شدة ، مـدة ، وإن على قـدر المؤونـة ، تنـزّل المعونة ، وإن الله يستخرج البلاء ، بصادق الـدعاء ، وخالص الرجاء .

واعلم أن في الشدائد إذابة الكبر ، واسـتدرار الـذكر ، وجلب الشكر ، وتنبيه الفكر.

فارحل بقلبك إذا الهم برك ، واشرح صدرك عند ضيق المعـترك ، ولا تأسـف على مـا مضـى ومن هلـك ، فليس بالهموم عليما درك ، واعلم أنه لا يـدوم شـيء مـع دوران الفلك ، وعسى أن تكون الشدة أرفق بك ، والمصيبة خير لك . فإذا ضاقت بك السبل ، وانقطعت بك الحيل ، فالجـأ إلى الله عز وجل .

واعلم أن الشدائد ليست مستديمة ، ولا تبقى برحابك مقيمة، ولعـل اللـه ينظـر إليـك نظـرة رحيمـة ، والـدنيا أحـوال ، وألـوان وأشـكال ، ولن تـدوم عليـك الأهـوال ، فسـوف تفتح الأقفـال ، وتوضـع عنـك الأغلال ، واصـبر وانتظر من الله الفرج ، فكأنك بليل الشدة قد انبلج :

لا تعجــلن فربمـا ... عجل الفــتى فيما يضــــره
فــالعيش أحلاه يعـو ... د على حـلاوته بمره
ولربما كــره الفتـى ... أمـراً عـواقبه تسره

واعلم أن الشـدائد تفتح الأسـماع والأبصـار ، وتشـحذ الأفكـار ، وتجلب الاعتبـار ، وتعلم التحمـل والاصـطبار ، وهي تـذيب الخطايـا ، وتعظم بهـا العطايـا ، وهي للأجـر مطايا .

فـاطلب من اللــه الرعايـة ، واسـأله العنايـة ، فلكـل مصيبة غاية ، ولكل بلية نهاية .كم من مرة خفنا ، فـدعونا ربنا وهتفنا ، فأنقذنا وأسعفنا ، كم مرة جعنـا ، ثم أطعمنـا ربنا وأشبعنا ، كم مرة زارنا الهم ، وبرح بنا الغم ، ثم عـاد سرورنا وتم ، كم مرة وقعنـا في الشـباك ، وأوشـكنا على الهلاك ، ثم كان من الله الانطلاق والانفكـاك ، أنت تعامـل مع لطيف بعباده، معـروف بإمـداده ، جـواد في إسـعاده ، مقامة الفرج بعد غالب على مـراده ، فلُـذ بـه ونـاده ، إذا داهمتـك الشـدائد السود ، وحلت بك القيود ، وأظلم أمامك الوجود ، فعليـك بالسجود ، وناد يا معبود ، يا ذا الجود ، أنت الرحيم الـودود ، لترى الفرج والنصر والسعود :

لطائف الله وإن طـال

كلمحة الطـــــــرف إذا

كم فرج بعد إيـأس قد

وكم سرور قـد أتى بعد

أيها الإنسان في آخـر النفـق مصـباح ، ولِبـاب الهمـوم مفتاح ، وبعد الليـل صـباح ، وكم هبت للقانـط من الفـرج رياح .

أيها الظمآن وراء هـذا الجبـل مـاء ، أيهـا المـريض في هذه القارورة دواء ، أيهـا المسـجون انظـر إلى السـماء ، أيها المتشائم امسك حبل الرجاء .

كن كالنملة في صـعود وهبـوط ، وعلـو وسـقوط ، ولا تعرف اليـأس ولا القنـوط ، ولا تعـترف بالإحبـاط في كـل شوط .

كن كالنحلة في طلب رزقها قائمة ، وفي حسن ظنهـا دائمــة ، وعلى الزهــور حائمــة ، وفــوق الــروض عائمــة وليست مع اليأس نائمة .

كن كالهدهد ، مع كل صباح ينشد ، ومع الربيع يتجـدد ، وعلى بلقيس تـردد ، وسـليمان لـه تفقـد ، فأسـلم لربـه ووحد ، وأنكر على من كفر وألحد ، فنال المجـد المخلـد ، والذكر المؤبد .

أيهـا المشتـــكي ومـا

كيـف تغــدو إذا غـدوت

أتـــرى الشـــوك في

أن تــرى فوقـه النـدى

والــــذي نفسـه بغيـر

لا يـــرى في الوجـــود

على رؤوس الجبال شمس من الفرج شارقة ، وعلى مشـارف التلال هالـة من النـور بارقـة ، وعلى كـل باب للحزن من السرور طارقة .

مقامة الفرج بعد

افتح عينيك ، ارفـع يـديك ، لا تسـاعد الهم عليـك ، ولا تدعو اليأس إليك .

السمك والقرش ، والطيور والطرش ، كلها ترجو رب العرش ، فاتجه أنت إليه ، واشك الحال عليه ، فإن فرجـه أسرع من البرق الخاطف ، وله في كل لحظة لطائف .

اللهم اصرف عنا المصائب ، ورد عنـا النـوائب ، وكُـف عنا كفّ المعائب .

اللهم سهّل الحزون ، وهوّن المنون ، وأشبع البطون ، وافتح للمضطهدين أبواب السجون ، واجعل الخـائفين من أمنك في حصون ، اللهم احلـل الحبـال المعقـدة ، وسـهل الأمور المشددة ، واكشف السحب الملبّدة ، وأجب سهام الليل المسددة .

اللهم اجعـل لليـل همومنـا صـباح من الفـرج يشـرق ، ولظمأ أكبادنا نهر من الأمـل يتـدفق ، ولجـراح مآسـينا يـد بالشفاء تترفق .

اللهم أغننـا عن النـاس ، وارزقنـا ممـا في أيـديهم اليأس ، ورد عنا البأس ، واجعل التقوى لنا أجمـل لبـاس ، وأقوى أساس .

لك الحمد حتى يملأ طباق الغـبراء ، وأجـواء السـماء ، ولك الثنـاء حـتى تشـدو بـه الأطيـار ، وتميـل بـه الأزهـار ، ويحمله الليل والنهار .

ولك المجد يا ذا الجود ، ما قام الوجود ، وسـال المـاء في العود ، ونصب للحياة عمود

هـل يـرجى سـواك ، هـل يعبـد إلا إيّـاك ، هنيئـاً لمن دعاك ، وطوبى لمن ناجاك .

والصلاة والسـلام على عبـدك ومصـطفاك ، وحامـل هداك .

وختامـاً :

اشـــــتدي أزمة قد آذن ليلك

تنف... ...بلج

المقـامَــة الشبـابيّــة

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾

بكيتُ على الشـــباب بـــــدمع عيـــــني — **فما نفع البكـــاءُ ولا النَّحيبُ**
فيا أسـفاً أسـفتُ على شـــــــبابٍ — **نعاه الشيبُ والرأس الخضـــــــــيبُ**
عَـريتُ من الشـبابِ — **كما يَعْرَى من الورقِ**

قـــال الـــراوي : دخلنا على جماعة من الشـــباب ، قد أسدلوا الشعر وأسبلوا الثياب ، ووقعوا في جدال وســباب ، فقام خطيبنا فقال وأصاب ، وأقسم بمن أنزل الكتــاب ، وأجرى السحاب ، وهزم الأحزاب ، أن الشــباب أمل الأمة المنشود ، وعلمها المعقود ، وسجلها المحمـود ، ثم التفت إلى الشــباب فقــال ، وقد فــاض دمعه وســال : ما لكم خالفتم السنة ، وهجرتم طريق الجنة ، تركتم هدي النبي ، وتشــبهتم بــالأجنبي ، قــال أوســطهم طريقة ، وأعــرفهم حقيقة : لماذا وجهت الكلام إلينا ، وماذا تنقم علينا ؟

قال الخطيب : سبحان الملك القدوس ، ما أغبى هـذه النفــوس!،أليست أوقــاتكم في القيل والقــال ، وإضــاعة المـال ، وهـدر السـاعات الطـوال ، قصَّـرتم في الطاعة ، وبــالغتم في الإضــاعة ، وفــرطتم في صــلاة الجماعة ، هجــرتم القــرآن ، وأطعتم الشــيطان ، وغرّكم الشــباب الفتّان ، ألستم أحفاد المهاجرين والأنصار ، وأبناء الأبرار ، وعليكم تعلق الآمــال الكبــار . فقــام أصـغرهم ، وهو في العين أحقرهم ، فقال : أيها الخطيب ، يكفي هذا التأنيب ، فــإنهم قــالوا : لا ينفع التهـذيب في الـذيب ، واعلم أنا في عصر الصبا ، كنبت الربى ، وكم من سيف نبا ، وضـوء خبا ، وجواد كبا ، فلا تشمت بنا العِـدا ، ولا تكـثر المـرا ، قــال الخطيب : عجب ، أيها الخب ابن الخب ، أتيت بعــذر أقبح من ذنب ، أتعتذر بالشبيبة ، لعمل كل خيبة ، فهذه مصـيبة ، هؤلاء الصحابة ، كلٌّ حفظ شـبابه ، وحمل كتابه ، وخـاف

حسابه ، وهل عندكم عهد وأمـان ، من طـروق الحـدثان ، أم أنكم في لهوكم تلعبون ، ولهواكم تركبون ؟

قــال قائل منهم ، وقد نــاب عنهم ، يا عم : ما كــان الرفق في شــيء إلا زانه ، وما نــزع الرفق من شــيء إلا شــانه . ونحن في مقتبل العمر ، وفي غفلة من الــدهر ، فدعنا نبهج ابتهاج الزهر ، ونقبل على الدنيا إقبال القطر ، كما قال الشاعر :

أقبلِ على اللـــــذات
تطـــوى بك الأيـــام
واتـــــرك مواعظ من
قبل الـردى يا صـاحبي

قال الخطيب والذي قرّت بحبه العيون ، وأزال بــالعلم الظنون ، إنكم في غيّكم تلعبـون ، ومن حتفكم تطربـون ، أين العقول هل ذهبت ، أين البصائر هل سُلبت ، أما ترون أنــه يُســاق بكم إلى القبــور ، وكــل واحــد منكم مغــرور ، تغترون بالمُهلة ، وتظنون أن الأمور سهلة :

فلا تقل الصــبا فيه امتهـــــــــــــال **وفكر كـم صــبيٍّ قد دفنتـا**
تفر من العجز **فهلاّ من جهنم قد**

يا قوم : الأنفاس تكتب عليكم ، والمنايـا تـزف إليكم ، فقال أحدهم : فماذا نفعل أيها الواعظ ؟ فـإني أراك تنتقد وتلوم وتلاحظ ، هـل ترانـا في حياتنـا أخطأنـا ، وعن منـاد الصلاح أبطأنا ؟ قال الخطيب : أين نـور الهدايـة ، وحسـن البدايـة ، والاسـتعداد للنهايـة ، المسـاجد منكم مهجـورة ، والمقـــاهي بكم معمــــورة ،كــــل منكم ركب لهــــوه وطيشه،وأقبـل على الـدخان والشيشـة ، تسـبلون الإزار ، وتطيلون الأظفار ، وتقلّدون الكفار ، تضـيّعون الصـلوات ، وتقعـون في الشـهوات ، وتسـهرون السـاعات ، وتزجـون الأوقـات ، لم تفلحـوا في دنيـا ولا دين ، وأراكم في غيّكم قاعدين ، لستم في صلاح ولا طاعة ، ولا سنة ولا جماعة ، ولا صناعة ، ولا زراعة ، ولا جلب بضاعة .

شـباب الغـرب في المصـانع عـاكفون ، وإلى العمـل منصـرفون ، وفي التجـارة محـترفون ، وبالجـد والمثـابرة متصـــفون ، المهنـــدس منهم في صـــناعته ، والفلاح في زراعتــه ، والتاجـــر في متابعــة بضــاعته ، والطــبيب في عيادته .

المقامَة

وأنتم ماذا فعلتم ، وأروني ماذا عملتم ؟

أحدكم في الليـل جيفـة ، وفي النهـار ريشـة خفيفـة ، فَصـَلْتم من الجامعـــة ، وهجـــرتم القـــراءة والمطالعـــة ، وجلســتم على القارعــة ، كــل منكم قــد أزعج شــارعه، شغلتكم الأغاني والأماني عن المثاني ، للرياضة تشجعون ، وللمنتخب تتـابعون ، وللملاعب تسـارعون ، وفي اللهــو واللغـو بـارعون ، حيـاتكم فوضـة ، تتـابعون آخـر موضـة ، كأنكم أطفال الروضة.

متى عهدكم بالقرآن ، هل حفظتم شيئاً من سـنة ولـد عدنان ، لا تعرفون المؤلفين والمكتشـفين ، والمخـترعين والبــارعين ، ولا تــذكرون أحــداً من العلمــاء والحكمــاء ، والأدباء، والأولياء ، حفظتم عن ظهر قلب أسماء المغنيّين ، واللاعبين ، واللاّهين، والمســرحيّين ، والممثلين ، عققتم الأوطان ، وأطعتم الشيطان .

هَمُّ أحــدكم حــذاء وســاعة ، وميداليــة لمّاعــة ، كأنــه شمّاعة .

مــا لكم أهــداف ســامية ، ولا همم عاليــة ، ولا أخلاق غاليـة ، مـا عنـدكم عـزائم ، أصـبتم بإحباطـاتٍ وهـزائم ، مقصد أحدكم الأفراح والولائم .

ألستم أحفاد الراشـدين ، وأبنـاء المجاهـدين ، وسـلالة العابدين .

صـار همّ أحـدكم ثيـاب فـاخرة ، وجلسـات سـاخرة ، أرضيتم بالحيـاة الـدنيا من الآخـرة . كـأنكم أطفـال يفـرح أحدكم بركـوب السـيارة ، ومشـاهدة الطيـارة ، ومعايشـة السـيجارة ، تحفظــون أســماء اللاعــبين ، وتغفلــون عن أسماء العلماء العـاملين ، اتركـوا الشـوارع، واخرجـوا إلى

الجوامع ، اذهبـوا إلى المصـانع ، هبـوا إلى المـزارع ، هيّـا إلى الحدادة والنجـارة ، هيّـا إلى الصـناعة والعمـارة ، هيّـا إلى البيع والتجارة ، هيّا إلى الورشة والنشارة .

نريد منكم علماء وحكماء وأطباء وأدباء .

شباب الحق للإسلام عـــودوا	**فــأنتم مجــده وبكم يســود**
وأنتم سـرّ نهضته	**وأنتم فجره الباهي**

فقال أحدهم وقد تسـربل بالخجـل ، وتكنفـه الوجـل ، فتكلم على عجل ، فقال : لسنا سبب الضياع ، وإنما آباؤنا الرعاع ، أهملونـا من زمن الرضـاع ، مـا أعطونـا من مـاء التربـة ولـو قطـرة ، وفي الحـديث كـل مولـود يولـد على الفطرة .

ما كانوا يسألون عنّـا ، كأنـا لسـنا منهم وليسـوا منّـا ، ربّونا تربية الدواب، وعلمونا تعليم الأعراب ، فنفوسـنا من الآداب خراب .

أشغلونا بالتلفزيون ، والتلفون ، وسيّـبونا في السـكك مع شباب يهمزون ويغمزون ، ما أخذونا إلى المساجد ، ما عرّفونا على عالم واحد ، ما حفّظونـا الآيـات البيّنـات ، مـا علّمونا الأحاديث النبويّـات ، أهملونـا للمجلاّت الخليعـات ، والأفلام المائعات، والسهرات الضائعات . غرسوا فينا حب الرذيلة ، وكراهية الفضـيلة ، علّمونـا سـوء الأدب ، وكـثرة الضحك من غير سبب ، وسرعة الغضب ، وإضاعة الطلب .

فقـال الخطيب : قـد سـمعت مـا قلت ، وأنت بـالحق نطقت ، وبـررت فيمـا قلت وصـدقت ، ولكن مـا عـذركم الآن ، وقد وضح لكم الربح من الخسـران ، والتوفيـق من الخذلان ، وقد قال شاعر أصفهان :

هب الشبيبة تبدي عـذر	**ما بال أشيب يسـتهويه**

فليس لكم عـــذر في الآبــــاء ، ولا تـــزر وازرة وزر أخرى ، أيها الأبناء ،جددوا التوبة، وأصلحوا الأوبة ، وارقعوا

بيد الصلاح ما تمزق من ثوب الأعمار،واغسلوا بدمع النـدم مـا تركتـه الـذنوب من غبـار ، واتركـوا مصـاحبة الفجّـار ، ومصادقة الأشرار ، ومرافقة الشطار ، والتشـبه بالكفـار ، أقبلوا على الحياة السعيدة ، واعكفوا على الكتب المفيدة ، وتخلّقوا بـالأخلاق الحميـدة ، واحملـوا الآداب الرشـيدة ، حافظوا على تكبـيرة الإحـرام ، واجتنبـوا الحـرام ، وتوبـوا من العشق والغرام ، وارتفعوا إلى منازل الكرام ، تذكّروا المـوت وسـكرته ، والقـبر وظلمتـه ، والحسـاب ودقتـه ، والصراط ومزلته ، تفكروا في البعث والنشور ، يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصّل ما في الصدور ، وينفخ في الصـور ، ويعضُّ على كفه المثبور ، وتقصم الظهور .

والله لو عــاش الفــتى
ألفاً من الأعــوام مالك
ما كان ذلك كله في أن
فيها بــأول ليـــلة فـي المقامَة

فلما سمعوا كلامه ، وشاهدوا مقامه ، غلبتهم الحسرة والندامة ، ووضع كل منهم على وجهه أكمامه ، وبكوا بكاء من عاين القيامة ، وتذكر لياليه وأيامه .

فرفـع الخطيب يديـه ، واجتمعـوا عليـه ، ودنـوا إليـه ، فقـال: اللهم يـا قـويّ الأسـباب ، يـا كـريم الجنـاب ، افتح لعبـــادك الأبـــواب ، وتب على من تـــاب ، وارحم هـــؤلاء الشباب ، فإنك تقيل العثرات ، وتغفر الزلات ، وتعفــو عن السيئات ، وتتجاوز عن الخطيئات ، اللهم أصـلح قلـوبهم ، واستر عيوبهم ، واحفظ غيوبهم ، واغفر ذنوبهم .

ثم قال الخطيب : هيّا بنا إلى المسجد ، لنركع ونسجد ، ونصلي ونتعبد ، ونعود إلى اللـه فـالعود أحمـد ، ونقتـدي بالرسول محمّد .

فسـمعوا نـداءه ، وأجـابوا دعـاءه ، وذهبـوا وراءه ، فأصلح الله لهم البال ، ووفقهم لأحسـن الأعمـال ، وأزكى الأقوال ، وأشـرف الأحـوال ، فصـاروا كـالنجوم الزاهـرة ، والبدور الباهرة ، بقلوب طاهرة ، وأعمال بالخير ظاهرة .

المقـامَــة السيـاســيّــة

((كل بطـاّح من الناس له يــوم بطـوح))

من مخـــبر القـــوم شـطت دارهم ونـأت | **أني رجعت إلى كتـــــــبي وأوراقي**
عفت السياسة حتى ما ألم بها | **وقد رددت إليها كل ميثـــــــــــــاقِ**

مالـك في ديـار السياسـة تجـوس ، اهـرب من سـاس يســوس ، أمـــا علمت أن وجههـــا منحـــوس ، ورأســـها منكوس ، وهي التي قطعت الرؤوس ، وأزهقت النفوس ، وضيّعت الفلوس ، وحملت النـاس على اليمين الغمـوس ، طريقها معكوس ، وعلى جبينها عبوس ، سودت الطروس ، وكسرت التروس ، وخلعت الضروس ، كسفت من أجلها شـــموس ، وفتحت بظلمهـــا حبـــوس ، وقطعت بجورهـــا غـروس ، كـانت الـدنيا قبلهـا عـروس ، وهي الـتي عطلت الناموس ، وأباحت المحرمات للمجوس .

لا تل الأحكـــام وإن همـــوا

إن نصف الناس أعداء لمن ولي

عقرت هارون الرشـيد في طرطـوس ، وقتلت محمـد بن حميد في طوس ، واجتاح بها ديار الإسلام أهـل البـوق والنـــاقوس ، إذا أقبلت تـــدوس ، وإذا أدبـــرت تحـــوس ، بـذريعتها لعب الأمريكـان في العـالم والـرُّوس ، تـدبّ في القلــوب كالســوس ، وتختفي في العقــول كالجاســوس ، عاشـقها يتخبطـه الشـيطان كأنـه ممسـوس ، أشـار إليهـا الحســـين فخطفت رأسه، ومازحهـــا الحجـــاج فخلعت أضراســه ، وداعبهـا أبـو مسـلم فـأحرقت لباسَـه،وزارهـا مصعب فقتلته وحراسـه ، وأحبهـا يزيـد فقطعت أنفاسـه ، وصـــافحها المختـــار فمـــزقت أحلاســـه ، وأحبهـــا المهلب فـاقتلعت أساســه ، وعشــقها المتوكــل فســلطت عليــه جُلاّسه ،وشربها القاهر فكسرت عليه كأسه ، وعانقها ابن

الزيات فأحرقت قرطاسه ، وجالسها ابن المقفع فـأبطلت قياســه ، كم من ذكي ضــيعت مراســه ، وكم من غــبي أخـرجت وسواسـه ، السياسـة بالنفـاق نجاسـة ، وبالغبـاء تياسـة ، وبالغـدر تعاسـة ، وبـالجور خساسـة ، وبـالظلم شراسـة ، اجتنبهـا أهـل الكياسـة ، ومـات في حبهـا أهـل الرياسة ، بذلوا في حبها الدين والحماسة ، وما حصـلوا إلا على التعاسة ، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسة ، قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباس وعباسـة ، فأصـبحوا بعـد الملـك خـبراً في كراســة ، وبعــد الــوزارة دفــتراً على ماصــة ، هي الوسواسة ، الخناسة ، تذهب بالنجابة والكياسة ، وكم من شـجاع أذهبت باسـه ، وعقـرت أفراسـه ، أهلهـا يُسمّون ساسة ، كل منهم قد حمل على أخيه فاسه .

سعيد النورسي ، بالسياسة نسـي ، ليـنين واسـتالين ، قتلــوا بالسياســة الملايين، فكتبــوا في تــاريخ الملاعين ، هولاكـو الغـازي ، وهتلـر النـازي ، قتلـوا باسـم السياسـة الإنسانية فأصبحوا في الخانة المنسية .

الكلب أكرم عشـرة — وهو النهاية في الخساسه
من معشر طلبـــوا — الرئاسة قبل تحقيق

كسر كسرى بالسياسة ظهور أهل فـارس ، فقيـل لـه :لم فعلت ذلـك ؟ فقـال: سـاس يسـوس فهـو سـائس ، وقصّر قيصر بالسياسـة أعنـاق الـروم ، فقيـل لـه لم هـذا الصنيع يـا محـروم ؟ فقـال : أردت إصـلاح البلاد ، ورحمـة العباد .

كدعواك كل يـدعي — ومن الــذي يــدري

بقنابل سياسة العميان ، دمرت اليابان ، وقتل الصرب الألبان ، واحتل الروس الأفغان ، وجلد المستضعفين شـاه إيران ، واعتدى الألمان على الجيران . لكن ذكر كل كـافر بربه ، آية : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ .

وكل ما سبق حديثٌ عن السياسة الفـاجرة الكـافرة ، الساحرة الساخرة .

وهي السياسـة البدعيّـة ، القائمـة على ظلم الرعيّـة ، وإهدار الحقوق المرعيّة ، من رأسمالية ، وبعثية ، ونازية ، وشيوعية ، وصان اللـه من ذلـك السياسـة الشـرعية، لأن السياسة الشرعية رحمة بالبشر ، واتبـاع للأثـر ، ومحاربـة من كفـر ، وردع من فجر، وهي الـتي على دسـتور عمـر ، إمام السياسة الشرعية الرسول ، أعدل العـدول ، وأفقـه الناس في المنقول والمعقول ، وصاحبه الصـديق ، بالأمـة رفيق ، له عهد مع العدل وثيـق ، وقلب من التقى رقيـق ، وتلميـذه عمـر الـذي كـان وهـو خليفـة يئن من الجـوع ، ويلبس المرقوع ، وتغلبه الدموع ، أولئك هم الناس ، وبهم يضرب القياس ، ويحل الأمن ويدفع الباس .

وليس لمن خالفهم إلا الإفلاس ، والابتئاس ، والاتعاس ، ليت السيوف الحداد ، لا تعـاون أهـل الفسـاد ، في ظلم العباد ، فبسياسة الجور والعناد ، قتل الحسين بسـيف ابن زياد . بـأيّ سياسـة يُكـرم جهلـة الأنبـاط ، وتـدفع الجـوائز لأهـل الانحطـاط، ويُجلـد أحمـد بن حنبـل بالسـياط ، على البلاط :

فيا مـــــوت زر إن ... ويا نفس جِـدِّي إن

بـأيّ سياسـة يتـولى الوليـد بن يزيـد ، وهـو الرعديـد ، البليـد ، المريـد ، وهـو الـذي فتح المصـحف فوجـد فيـه : واستفتحوا وخاب كل جبار عنيـد ، غنتـه الجاريـة وهـو في السكر ، والنكر ، شارد الفكر ، ذاهب الذكر ، تارك الشكر ، فقال من الطـرب : إلى أين أطـير ، قـال العلمـاء : طـر إلى السعير يا عير . ﴿ فَمَـا كَـانَ لَـهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُـرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾

بـأي سياسـة يصـبح الحجـاج الـوزير ، صـاحب الـدف والزير ، ليقتل ابن الزبير ، بلا قصاص ولا تعزير .

بأي سياسـة يُـذبح سـعيد بن جبـير ، العـالم النحريـر ، والمحدث الشهير ، وتعطى الجوائز لزرياب ، وتخلـع عليـه الثياب ، والعلماء يُـدفعون عنـد الأبـواب . لـو أن المـأمون فقه سنة الرسـول الأمين ، ولـو أن المعتصـم درس سـنة

المعصوم ، لما عذبوا أحمد بن حنبـل ، سمّي أحمـد النـبي المبجـل ، لأن أحمـد بن أبي دؤاد ، أشـغلهم عن الإسـناد ، بـأقوال أهـل الفسـاد ، وبنقـولات فلاسـفة بغـداد ، وجهلـة السواد .

يا لها من سياسـة خربانـة ، تكـرم الزنـديق وأعوانـه ، وتضــع ابن تيميــة في زنزانــة ، وتحجب عنــه إخوانــه ، بالسياسـة تغـزو العـالم المزدكيـة ، وتحكم بغـداد الأسـرة البرمكيـة ، ويقتـل ذو النفس الزكيّـة ، بـأي سياسـة خـرج التتـار ، بكـل بتـار ، فخربـوا الـديار ، وقتلـوا الصـالحين الأبرار ، وهدموا كل مسجد ودار، براءة من اللـه ورسـوله إلى سـياد بـري، لأنـه على الـدماء جري ، شـنق علمـاء المالكية ، والشنق عند مالك حرام بالكليّة .

دستم من رسـتم ، مـع هليـا مريـام منجسـتم ، يـا كم تنجستم ، وغرتكم الأماني وتربصـتم . بـأي سياسـة سمى الشيوعيون أنفسهم بالرفاق ، وهم أهل النفاق ، والشقاق ، وسوء الأخلاق . كنىّ أبو جعفـر الخراسـاني أبـا مسـلم ، فلما ذبحه قال : مت يا أبا مجرم .

أبو مسلم تبختر ، وتكبر ، وتجبر ، فبقر بطنه أبو جعفر ، بالخنجر ، فسحب بعـد الملـك في السـلك وجرجـر ، مـا شاء الله يجلس الخليفة في بغداد ، على الوسـاد،ويصـفق له العباد ، ويحرسه الأجناد ، فتغنيه الجارية بصوت جميل ، وشَعْرها يميل :

قفا نبكي من ذكـــــرى

فيقــع الخليفــة في الطــرب ، فيصــب على الجاريــة الذهب ، وأحمـد بن حنبـل مسـجون في الحـق بلا سـبب . يجلس الخليفة العباسي ، على الكرسي ، ويقول : يا ناس قبّلوا رأسي ، وامسحوا مداسي ، وقربوا قرطاسي .

فيقوم شاعر طرطور ، منـافق مـدحور ، فيقـول : مـا خلـق اللـه مثلـك أيهـا الخليفـة ، فـأنت صـاحب الأخلاق الشريفة ، والمعاني اللطيفة ، والأمجـاد المنيفـة ، فيقـول الخليفة : يـا غلام : أعطـه ألـف دينـار ، واكتبـوه من خـدم

الدار ، فشِعْره تاج الأشـعار ، هـذا وسـفيان الثـوري عـالم الديار ، وزاهد الأمصار ، لا يجد كسرة خبز طيلة النهار .

بأي سياسة يشرد الشعب المسلم من فلسـطين على الفور ، بوعد بلفـور ، وقلوبـه على الظلم تفـور ، والعـالم الإسلامي بارد جامد هامد ، جاحد شارد خامد ، لا يثور كأنه مغمور أو مغرور ، أو مسحور ، ويحتل فلسـطين اليهـود ، إخوان القرود ، بلا حدود ، ولا قيود ، ولا شهود :

لو كنت من مـــازن لم تســـــتبح إبلي **بنـــوا اللقيطة من ذهل ابن شـــيبانا**

قـوم إذا الشر أبـدى ناجذيه لهم **طـاروا إليه زرافـات ووحـــــــــدانا**

المقـامَــة المكـيّــة

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (1) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بوادٍ وحـولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً وهل تبدون لي

قـال الـراوي : قد أظهـرت لنا يقين الحـديث وشـكّهْ ، فحـــدثنا عن مكّة ، قلنا : مكة هي المهبط والمســـقط والمربط والأوسط ، فهي مهبط القــرآن ، ومسـقط ميلاد سـيد ولد عـدنان ، ومربط خيـول أهل الإيمـان ، وأوسط البلدان.

مكة قلب المعمــورة ، على الحسن مقصــورة ، وفي حجـــال المجد مســتورة ، أذن بها الخليل ، وسُــحق بها أصـحاب الفيل ، بـالطير الأبابيل ، اختارها علام الغيـوب ، فهي مهوى القلوب ، وملتقى الـدروب ، وقبلة الشـعوب ، هي أرض ميلاد الرسالة والرسول ، كان لجبريل بها صعود ونزول ، منها ارتفع الإعلان والأذان والقرآن والبيـان ، أذّن منها بلال بن ربــاح، وسُــلت فيها الســيوف ، وامتشــقت الرمـــاح ، وأُعلن فيها التوحيد ، وهو حق الله على العبيد ، وهي أول أرض استقبلت الإسلام ، وحطمت الأصنام .

بها بيت الملك الأجل ، والكعبة الـتي طـاف بها الرسل ، ســوادها من ســواد المقل ، وهي أرض الســلام ، وقبلة الأنام ، يفد إليها المحبـون ، على رواحلهم يخبـون . ويتجه إليها المصلون ، ويقصـدها المهلّـون ، فهي قبلة القلـوب ، وأمنية الشـعوب ، وراحة الأرواح ومنطلق الإصــلاح ، على ثراها نزلت الهداية ، ومن رباها كانت البداية ، على رمالها مزقت الطغاة ، وعلى ترابها سـحقت البغـاة ، ومن جبالها هبت نسائم الحريّة ، ومن وهادها كان فجر الإنسانية .

تمـــنيت الحجـــاز أعيش فيها فأعطى الله قلبي ما تمـــــــــنى
سقى الله الحجاز وأمطر كل رابية

على بساط مكة ولد العرفان ، وأكرم الضيفان ، ومن مغانيها رضع الشجعان ، وفي بطحائها هاشم وابن جدعان ...

المقامة

لا ينكتـــــون الأرض
لتطلب الأعــــــــــذار
بل يشـــــــــرقون
عند السـؤال كأحسن
وإذا الغــريب أقــام
ردّوه رب صــــــواهل
وإذا دعا الـــــداعي
سدوا شعاع الشمس

في مكة تثور شجون الحب ، وتضج بلابل القلب ، فيها التـأريخ يتكلم ، والـدهر يتبسم ، والـذكريات تتـداعى ، والأمنيـات تقبل تباعـاً ، هنا غمغمـات السـيول ، وصـهيل الخيول ، وتنحنح السادات ، وتزاحم القادات ، إقبال وفـود ، وانطلاق جنـود ، وتـزاحم حشـود ، وارتفـاع بنـود ، هـدى وضلالة ، علم وجهالة ، وهنا كرم وبسالة ، وحي ورسالة ، عالم يمور بالعبر ، ديوان يزخر بالسـير ، دفـتر للعظمـاء ، سجل للشرفاء :

كـــــأن لم يكن بين
أنيـس ولـم يســـــمر
بلى نحـن كنـا
صــــروف الليــــالي

في مكة رؤوس بالأنفة متزاحمة ، وجيوش للثأر متلاطمة ، أفكار وحضارات ، ونواد ومحاضرات ، سير وسمر ، في ضوء القمر ، أنباء وأخبار ، قصص وأشعار، حتى كان النبأ العظيم ، وهو الرسول الكريم ، فيصغر بعده كل خبر ، وينسى من جاء ومن غبر ، فهو أعظم أثر ، جاءت به السير .

نسخت كل دواوين
خط الأنــــــام برسم
فالشـــمس والقمر
لنــــــــور وجهك من

يــوم بعث اســتدار له الزمــان ، وأنصَــت له الثقلان ، وتشاغلت به الأقلام ، ورحبت به الأيـام ، وأنصت له الأنـام ، فهو ابن مكة البار ، وبطلها المغوار ، ورسولها المختار .

إذا أقبلت على البلد الحرام ، فتذكر ذاك الإمام ، عليه الصلاة والسلام .

مكة تــذكرك البأســاء والنعمــاء ، والنــور والظلمــاء ، والسعادة والشقاء .

مكة كتاب مفتـوح ، وسِـفْر مشـروح ، يجمع بين أحـاديث النجـاة والخسـران ، والكفر والإيمـان ، والعدل والطغيان ، تـذكرك مكة الشـرك الكـالح ، والجهل الفاضح ، والـوهج اللافح ، يـوم كـانت الأوثـان تُقـدَّس ، والأصـنام تأسس ، تسـجد لها النفـوس الخاوية ، والعقـول الجافية ، يـوم غـاب الرشد ، وأفل السعد ، وغرب الميثاق والعهد ، يوم كان الإنسان كالبهيمة ، بلا قيمة ، والقلب في شباك الجريمة ، وفي ظلمات وخيمة :

فقل للعيـــــون الرمـد

تراها بحق في مغيـب

وســـامح الله عيونـــاً

بأهوائها لا تستفيـق

ولا تعي

وتذكرك مكة يوم انفجر الفجر ، وارتفع الذكر ، ومحق الكفر، يوم أنصتت الدنيا بأذن سميعة ، وأقبل الدهر بخطاً سـريعة ، وانتفض الكـون للكلمة الخالـدة ، واهـتز العـالم بالدعوة الراشدة ، لا إله إلا الله ، لا معبود بحق سوى الله ، لا بقـــاء إلا لله ، وتـــذكرك مكة بـــالوحي وهو يتنـــزّل ، والقرآن وهو يرتّل ، وجبريل الروح ، يغـدو ويـروح ، وبـاب الرحمة المفتـوح ، والعطـاء الربـاني الممنـوح ، فيالها من ذكريــات يهــتز لها الجسم ذرة ذرة ، ويقــوم لها الــرأس شـــعرة شـــعرة ، ويا لها من صـــيحة دوّت في العـــالم فاستيقظ بها كل نـائم ، واهتـدى بها كل هـائم ، ويا له من خبر طرق الكون فصحا ، ومحق الشرك ومحا .

توقف الزمان منصتاً ، وسُلَّ سيف الجهاد مصلتاً .

هنا الأمــــاني هنا

المقامَة **هنا المعـــــــالي هنا**

هنا القلـــــــوب

هنا النفـــــــوس أتت

هنا رواء هنـا فجـر

هنا كتـــاب هنا لـــوح

التعبير يخون ، والنفس فيها شجون ، والذاكرة بالصور مــوّارة ، ونــور الحــديث قد نصب في القلب منــارة ، إذا ذكرت مكة ذكر غـار حـراء ، والشـريعة الغـراء ، والـوحي والإسـراء ، فكـأن التـأريخ حضر ، وكـأن الزمـان اختصر ، وكـأن الـدنيا كلها في مكة محصـورة ، وكـأن الأيـام في أجفان مكة مقصورة .

مكة ملاعب الصبا والشباب ، لصاحب السنة والكتــاب ، فيها مســقط رأسه ، وفضـــاء أنفاسه ، فيها مراتعـــه ، ومرابعه ، ومهاجعة .

هـذي بلادي وهـذي

هـــذا التـــراب الـــذي

هــــذا المكـــان بـه

هـــذا ريـــاض الهـــدى

كيف نعبر عن أشـواقنا ، وقد سـافر حبه في أعماقنا ، لأنه صـــلى الله عليه وســـلم أملنا المنشـــود ، ومجـــدنا المحمود :

في كفك الشــــهم من

على الصـــــراط وفي

هيهـات رحـلة مسـرانا

كما عهـدت وعزمــات

وعلى رمضاء مكة ثأر وجـراح ، وعويل وصـياح ، حيث عُــذب بلال بن ربــاح ، أما تقــرأ على الرمضــاء ، ما كتبته الــدموع والــدماء ، يقرؤها كل عــالم وجاهــل ، وقل جــاء الحق وزهق الباطل . تفجّــعٌ صــارخ يصــعد إلى الســماء ، وصيحاتٌ ثـائرة تشق الظلمـاء ، أحـدْ أحـدْ ، فـرد صـمدْ ،

على رغم من كفر وجحد ، تطلق هــذه القــذائف حنجــرة بلال ، فتهتز بها الجبال ، وتنتفض منها التلال .

أحِــــــدٌ هتفتَ بها
أنت المــــــــــؤذن
واهـزم بصـوتكَ كل
واســـحق بقولك كل

وعلى جــبين مكة قبلات المحــبين ، وفي جوفها زجل المســبحين ، وفي عينيها آية للســائلين ، مكة أم الخلفــاء الراشــدين ، مكة بلد العابــدين ، وميــدان المجاهــدين ، وعـرين الفـاتحين ، وجـامع الموحـدين ، ومدرسة الحكـام العادلين :

وفي رُبى مكة
على ثراها بنيــــــــنا

إذا قربت من مكة فتهيّأ للـدخول ، واسـتعد للنــزول ، والبس الإحرام، عند عناق البيت الحرام ، لأنك سـوف تلج بيت الـــديَّان ، ومحط العرفـــان ، ودار الرضـــوان ، هنا المسـلك الأرشد ، والمحل الأسـعد ، والحجر الأسـود ، هنا المقام الكريم ، والمطاف العظيم ، وزمزم والحطيم ، هنا العابـــدون والســـاجدون ، والعـــاكفون ، والقـــائمون ، والمستغفرون . هنا تسـكب العـبرات ، وتهمل الـدمعات ، وتنبعث الآهات ، وتصـعد الزفـرات . هنا تغسل النفس من الأدران ، ويتخلّص القلب من الأحزان ، وتنطلق الروح من العصيان ، هنا تـرمى الجمـرات ، وتحط الغـدرات ، وتخلع الفجــرات ، وتغسل الســيئات ، هنا يتجــرد من الثيــاب ، ويتهيأ للحســاب ، فحبــذا هــذه الرحــاب ، وطــوبى لهــذه الشــعاب ، هنا تنـــاخ المطايـــا ، وتحط الخطايا ، وتكـــثر العطايا ، هنا الســـرور قد تم ، والشـــمل قد التم ، وذهب الهم والغم .

المقـامَـــة الـمـدنـيّـــة

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾

أمر على الديار ديـار ليلى   **أقبل ذا الجــدار وذا الجـــــــــــــدارا**

لما وصـلنا المدينة ، والنفس لمن في الروضة مدينة ، قلت : ســلام يا طيبة ، لما رأينـــاك ذهبت الخيبة . لحبك أيتها الدار ، سـال الـدمع المـدرار ، لمن نـدخر الشـجون ، لمن نخبئ الدمع الهتون ، هذا وقت البكـاء يا محب ، هـذه لحظة الشوق يا قلب .

المدينة تنفي خبثها ، وينصع طيبها ، ويطمئن سـاكنها ، ويرتاح حبيبها .

لما رأينا الربع سـال دموعنا   **شوقاً لسـاكنه ومن يهـــــــــــــواهُ**

إذا أتيت طيبة ، فأعط قلبك من التــذكر نصــيبه ، هنا المحراب ، حيث كان يصلي فيه من أُنـزل عليه الكتـاب ، هنا المنبر ، فتذكّر يوم كان يرقاه صـاحب الجـبين الأزهر ، هنا المسجد ، فالشوق يتجدد ، إذا علم أنه مصلى محمد ، هنا الروضة الخضراء ، يرقد بها من جاء بالشريعة الغراء ، هنا أُحُد جبل يحبنا ونحبه ، وهنا قباء يؤنسنا قربه ، المدينة هي محط مـوكب النبـوة ، وبها كـان للإسـلام قـوة ، منها سـطعت شـمس السُـنّة ، وفيها تمت المنة ، وهي المدينة التي نصرت المختار ، بسيوف الأنصار ، بها حكم الشيخان ، وولد السبطان ، وعـاش السـعدان ، وترعـرع الزيـدان ، وأنشد الشاعران ، كعب وحسّان .

إذا دخلت المدينة فتــذكر صــاحب الملّة الســمحاء ، والطريقة البيضاء ، هنا مسكنه ومنامه ، وممشاه وقيامه ، ورمحه وحسامه ، وشرابه وطعامه .

من المدينة خـرج لبـدر بجنـوده ، وزحف إلى أحد في حشوده ، ومن المدينة بعث للملوك رسائله ، وعلم الناس

فضـائله . هي بيت ضـيافته ، ودار خلافته ، في كل مكـان منها له ذكريات ، وفي كل موضع له علامات .

قبل القلب على سفح اللوى **واقفات راجفات ماثلات**
تنشد الربع وهل دارس **فيه حلال**

المدينة تـذكرك ببكـاء أبي بكر في الصـلاة ، وورعه وتقواه ، لو وضع الصخر على بساطه لكاد أن يـذوب ، ولو زجر الشـيطان بنصـحه لأوشك أن يتـوب . جمع الفضـائل كأنه يسـوقها بعصـاه ، وحبٌّ له في القلـوب فلو أشـار للجيش هيا إلى الموت ما عصاه .

والمدينة تـذكرك بالدولة العمرية ، وتلك المنـاقب الأثرية ، عدل صـار في العـالم قصة ، وتـرك في حلق كل جبـار غصة ، وزهد يقـول الزهد : لا نسـتطيع معك صـبرا ، وورع يقـول له القلب : لا نعصي لك أمـرا ، عمر بن الخطـاب ، سل عنه المحـراب ، بكـاء فيه وتفجّع ، ونحيب وتوجّع . وإذا بصـاحب هـذه الـدموع الآسـرة ، يهز بهيبته القياصرة والأكاسرة ، معه بردة مرقعة ، وحـذاء مقطّعة ، ثم تخفق قلـوب الملـوك على وقع حذائه ، وينـام العـدل على طرف ردائه .

والمدينة تـذكرك بالوقفـات الإيمانية ، في الحشـايا العثمانية ، والمعاهد العفانية ، طهر يغتسل في نهـره مـاء الغمام ، وحياء يصيد بوداعته ورق الحمام ، وسخاء تضرب به الأمثال ، وتعجز عن مجاراته الرجال .

والمدينة تـذكرك بسـيف الله المنتضى ، وعبـده المرتضي ، علي بن أبي طـالب أبي الحسـن ، الخطيب اللسن ، ناصر الـدين والسـنن ، بطل الأبطـال حيـدره ، هازم الكفره ، وصاحب السيرة العطرة .

ما هزني ذكر أشجان وأطلال **أو خيمة عرضت أو معهد بالي**
لكن هنا المجد **فاكتب بدمعي**

إذا قـالت روما : عنـدنا من الملاحم فصـول ، وقـالت باريس : عندنا ديقول، وقالت لندن : عندنا العالم المأهول ، فإن المدينة تقول : عندنا الرسول .

حي دار الهجرة ، وميـدان النصـرة ، وأرض الشـهداء ، وجامعة العلماء . في ثرى المدينة سـيد الشـهداء ، حمـزة المقدام ، وغسيل الملائكة الكـرام ، ومن كلّمه الـرحمن ، وحفظة القرآن ، وزيد بن ثابت إمـام الفـرائض ، وحسّـان بن ثابت شـاعر الـردود والنقـائض، وأُبي بن كعب صـاحب الذكر الحكيم ، وفيها من اهتز له العرش العظيم .

في المدينة ذكـــرى أبي ذر ، وهو يقـــول الحق المُر ، يدفع الباطل بزنده ، ويرد الدنيا بزهده ، وفيها ذكـرى بلال وهو يرسل صوته في سماء الوحدانية ، وفضــاء العبودية ، ومعناه تعالوا إلى ربكم أيها العباد ، وذروا الجـاه والأمـوال والأولاد .

وذكرى أنس بن مالك خـادم رسـولنا ، كلما قيل : من لهذا العمل ؟ قال : أنا ، فينـال بشـرف خدمة المعصـوم ، ما لا يناله أشـراف أهل الـدنيا لجلالة المخـدوم ، وذكـرى سـعيد بن المسـيَّب ، الـولي المقـرَّب ، ينهل النـاس من مورد علمه ، ويعب العباد من نهر فهمه . وذكرى مالك بن أنس ، إذا تربع على كرسي العلم وجلس ، فكــــأن مجد الـدنيا اختصر في تلك السـاعة ، يـوم تجتمع عظمة العلم وعظمة الطاعة .

وأعظم منقبة للمدينة أن رســـول الله ﷺ يســـكن في ســويداء قلبها ، ويســتولي على حبِّها ، وهــذا سر مكانتها وقربها . يكفي المدينة فخـــراً ، أن أجـــلَّ البشر ، وســـيد البدو والحضر ، شرب ماءها ، واستنشق هواءها ، وارتـدى سماءها ، وصافح ضياءها .

يكفى المدينة جلالة على مــــدن المعمــــورة ، تلك المنــاقب المــأثورة ، وأجلّها مشي الحــبيب على ثراها ، وتنقله بين قراها ، كلما طـافت عينك على رباعها ، وهـام قلبك في بقاعها ، ناداك منادي الـذكريات ، يقـول للأحيـاء والأمـــوات : هنا محمد ســجد، هنا محمد قعد ، هنا محمد

رقد ، جلس في هذا المكان ، عـبر هـذه الوديـان ، هـرول في هذا الميدان ، نظر إلى هذه الجبال ، رقى هــذه التلال ، شرب من هذا الماء الـزلال ، زار هـذه الـدار ، نـام تحت هذه الأشجار ، مضى من فوق هذه الأحجار .

في الدار أخبار يكـاد حـديثها — يـدع الفـؤاد وما له سـلوان
شـوق فلو أن ما في الحشا

يا أيتها النخيل الباسـقات ، ربما مر بكن صـاحب المعجزات، والصفات الباهرات ، فهل من حديث يستفاد ، وهل من ذكريـات تعـاد . إن كنت تمـدح المدينة بسـمو قصـورها، وارتفـاع دورها ، وعظمة جبالها ، وكـثرة تلالها ، فقد غلطت في الثنـاء ، وقصّـرت في واجب الوفـاء ، إن للمدينة أسرارا ، وإن لها أخبارا . المدينة تخاطب القلـوب قبل العيون ، وتستشـير الـدفين من الشـجون ، لأن ترابها يحتفظ في ذاكرته بمشاهد تـذوب لها الأرواح ، ولا يمحوها مرور الرياح .

ابك الـديار وإلا فانـدب الـدارا — فـإن في القلب أخبـاراً وأسـرارا
لا تبخلن بـدمع — إن شئت غصباً وإلا

على ترابها آثـار أقـدام المختـار ، وبصـمات تنقله في تلك الـديار ، وعلى ثراها دمـوع الأبـرار ، ودمـاء الأخيـار ، وفي سماءها تسبيحات المهاجرين والأنصار .

للمدينة صفحتان : صفحة الفرح ، وصفحة الأحزان .

فصـفحة الفـرح بها معـالم النبـوة الطـاهرة ، وتلك الانتصـارات البـاهرة ، نفـرح إذا ذكرنا بركـات الرسـالة ، ومواقف التضحيات والبسـالة ، ونفـرح إذا عشـنا المعـاني الإيمانية ، والنفحـات الروحانية ، والمشـاهد القرآنية ، ونفرح إذا تـذكرنا كيف انتصر الحق المـبين ، ودفع الباطل المهين ، وكيف اسـتقبلت تلك القلـوب أنـوار الهداية ، وكيف انتهى الكفر إلى غير رجعة هذه النهاية .

ولكننا نحزن يـوم فـارق الحيـاة أكـرم الأحيـاء ، ويـوم انتقل إلى دار البقاء أجلُّ الأتقياء ، ونحزن لموت الصـدّيق

، صــاحب العهد الوثيق ، ونحــزن إذا ذكرنا عمر الفــاروق وهو بالخنجر يمزّق ، ودمه على ثيابه يتدفق ، ونحزن يــوم ذُبح عثمان ، بسكين العدوان، نحـزن إذا ذكرنا ذهـاب ذاك الجيل القــرآني الفريد ، وذاك القــرن المبــارك المجيد ، وتلك الطائفة الزاكية الراشـــدة ، وتلك الجماعة الخيّـــرة القائدة .

فصلى الله وسلم على من تشـرّفت بـه تلـك الأرض ، صـاحب المقــام المحمــود يــوم العــرض ، عليــه الصــلاة والسلام ، ما هب نسيم الأسحار ، وسرى حديث السمار ، عليه الصلاة والسـلام ، مـا تمتم مـاء ، وهبّ هـواء ، وشـعّ ضياء ، وارتفع سناء ، عليه الصلاة والسلام ، ما حنّ إلف ، وأومأ طرف ، وما ذرّ شارق ، وما لمع بارق ، ومادام سعد ، ودوى رعـد ، وحـل وعـد ، وحفـظ عهـد ، عليـه الصـلاة والسـلام ، مــا خــط قلم ، وزال ألم، ودامت نعم ، وزالت نقم ، وعلى آله وصحبه الكرام ، مادام في الأرض إسلام ، والسلام.

المقـامَــة النجـديّـــة

﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾

((واحرّ قلباه يا نجــد))

نحن أدرى وقد ســـــألنا بنجد … أطويل طريقنا أم يطـــــــــول
وكثـــــير من … وكثـــــير من ردِّه

إذا ذكرنا نجد ، ثــار الوجد ، واســتجاب المجد ، يا نجد أنتِ مهبط وحي العربيّة ، ومسقط رأس الشاعرية ، على رحابكِ سفكت دماء المحبين ، وسـالت دمـوع المعجـبين ، وعلى بســاطك وقعت جـــواهر البيـــان ، وبســـقت لآلي العرفان .

يا نجد أنتِ أرض الحب والغــرام ، والعشق والهيــام ، في رأسكِ ذاكرة الأيام ، وفي صدركِ مفكرة الأحلام ، هنا ملاعب طسم وجديس ، ومفاتن امـرؤ القيس ، ومعـاطن العيس ، هنا ســحر القافية يلعب بالأذهــان ، هنا للشــعر سوق ومهرجان ، وللحب روض وبستان ، جدد التوحيد في نجد فصار غضّاً طريًّا ، وولد الحب نجـديّا ، وعـاش الـدين بها أبديّا ، وصار الوفاء بها سرمديّا ، لنجد في قلبي منـازل وخيـام ، وبيـوت وأعلام ، ولها في ذاكـرتي صـور وأفلام ، ومشاهد وأحلام .

يقــول الشــاعر الــدكتور العشــماوي وقد أشــجاني ، وشعره أبكاني .

يا عائـــض القرنـــي نجـــداً وإن زار الحجــاز
قـــالوا قـــدمت إلى ألفـــاً وحيّـــا الله ذاك

يا صـــــاحبي على نجد قفا نبكي ، ومن هواها تعــــالَ نشتكي ، في نجد أم البنين الأربعة ، وعامر بن صعصــعة ، المطعمــون الجفِنة المدعدعة ، والضــاربون الهــام يــوم المعمعــة . من نجد انطلق الموحّـدون ، وأنشد منها قيس بن ميمون ، وفيها عشق عروة بن حزام والمجنون .

يـا صـــــاحبيٍ قفا لي
وحـــــــدثاني عن نجـد
هل أمطـــــرت روضة
حمامة الـــبين أو غنت

في نجد الخـــزامى والشـــيح ، والـــروض الفســـيح ، والشعر الفصـيح ، وشـذا المسك تـذروه الـريح ، نجد ثلاثة أحرف نون ، وجيم ، ودال .

فالنون فنون ، وشجون ، وعيون ، وفتون .

والجيم جلال ، وجمال ، وجهاد ، وجلاد .

والـــدال في نجد ســـنة وكتـــاب ، وعلـــوم ، وآداب ، وأحســـاب ، وأنســـاب ، ومجـــدد الـــدعوة محمد بن عبد الوهاب .

جاءتنا حمامة ، من اليمامة ، فأخبرتنا أن مسيلمة ترك إســـــــلامه ، وعصى إمامه ، فخلع خالد العمامة ، وربط حزامه ، وسل حســـامه ، ففصل من مســـيلمة الهامة ، وقص عظامه . فأهدت نجد المجدد ، والموحد ، والمسدد.

فالمجدد ابن عبد الوهـاب ، جـدد للتوحيد الشـباب ، وألبسه أحسن الثيـــاب ، فجـــزاه الله أوفر الثـــواب ، **والموحد** حصن الهمة الحريز ، وشـــارح كتـــاب المجد الوجـيز ، الملك عبد العزيز ، **والمسدد** الرجل الممتـاز ، الذي حوى كل فضل وحاز ، عبد العزيز بن باز.

من حنجـرة نجد انطلقت في الظهـيرة ، صـرخة ودِّع هريــــرة ، ومن نجد أقبل الرجل المفضـــــال ، والداعية الرحّال ، ثمامة بن أثال . ونجد لا تقبل الرذيل ، ولا تعشق الـــدخيل ، ولـــذلك قتلت العميل ، عـــامر بن الطفيل، لأنه كذب بالتنـزيل .

أقـــول لصـــاحبي	**بِنا بَيْن المجــــــرة**
والخيل تجـــــــري	**والضمـــــــــــــار**
تـــزود من شميم	**فما بعد العشية**

حيّت دمشقُ نجداً فقال شاعرها ابن الخياط :

خـــذا من صـــبا نجد أمانــــــــــاً لقلبه   **فقد كــــــاد ريّاهـا يطيـر بلبــــــــهِ**

وحيّت بغدادُ نجداً فقال شاعرها الشريف الرضيّ :

يا صـــاحبي قفا لي واقضـــــا وطــــراً   **وحــــدثاني عن نجد بأخبـــــــــار**

وحيّت القــاهرة نجــداً فقــال أمــير الشــعراء أحمــد شوقي :

جبل التوبــاد حيــاك الحيــــــــــــا   **وســقى الله زمانــاً ورعى**

وحيّت صنعاء نجداً فقد قال الأمير الصنعاني ، والعـالم الرباني ، يرحب بإمام التجديد ، للتوحيد :

ســلام على نجدٍ ومن

وإن كان تسـليمي على

وحيّت جبال السروات نجداً فقال الشاعر الخثعمي :

ألا يا صــبا نجد مــتى

لقد زادني مســــــراك

من نجد هب جيش بكـر بن وائـل الشـجعان ، فهزمـوا صـاحب الإيـوان ، كسـرى أنو شـروان . وسـوف يهب من نجد بنو تميم ، في جيش عظيم ، لحـرب الـدجال الأثيم ، كما قال الرسول الكـريم : ((أشـد أمـتي على الـدجال بنو تميم)) .

من نجد هب عمرو بن كلثوم ، بسـيفه المثلـوم ، على الملك الغشـوم ، عمـرو بن هنـد الظلـوم ، ثم أرسـل إلى الشعوب ، قصيدته التي تعصف بالقلوب :

ألا هُبّي بصـــــحنك فاصــــــــــبحينا   **ولا تبقى خمـــــــور الأنــــــــــــدرينا**

فسارت في الناس مغربـة مشـرقة ، وجعلتهـا العـرب معلقة .

ومن نجد المحدث الكبير ، والعالم الأثير ، صاحب الدر النثير ، يحيى بن أبي كثير .

نجد الهوى والسـحر يا

المجد فـــوق تـــراب

قيـس وليـــــــلى

ودموع عشـاق العقيـدة

وإليك هذا التفجع والتوجّع ، يشيّعه قلب يتقطع ، وعين تدمع ، وعقل من الحب يُصرع ، يقول عـروة في عفـراء ، وهو في نجد ذات مساء :

جعلت لعـــــــراف اليمامة حكمه	**وعـراف نجد إن هما شفيـــــــاني**
فو الله ما من رقية يعلمانها	**ولا شربـة إلا بهـا سقيـــــــاني**

كيف تثبت أمام هذا الشعر هـذه القلـوب المسـكينة ، التي كأنها ذبحت من الجوى بسكينة . وضع يدك الآن على قلبك وناد : السكينة السكينة .

من نجـد خـرج الأعشـى يتمشـى ، بعـد أن تعشـى ، فتوجـه إلى المدينـة ليعلن إسـلامه ، فلقيـه أبـو سـفيان فخاف مقامـه ، وأعطـاه خطامـه ، ليعـود لليمامـة ، فعـاد بجمله ، وأرخى زمامه ، وأطلق خطامه ، فأسقطه فكسّـر عظامه ، فباء بالخسران والندامـة ، ولـه قصـيدة فريـدة ، يصف ويبعث فيها همومه المريدة ، مطلعها :

ألم تغتمض ... وعـــادك ما عـــاد

في نجد شعر عجب ، خذ شعر امرؤ القيس إذا شـرب ، والأعشى إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وابن كلثــوم إذا غضــب . شــعر امــرؤ القيس كــالخمر المعتّـق ، تكـاد القلـوب منـه تتشـقق ، والعـروق تتفتـق ، والدموع تتدفق ، فإذا سمعْتَه فترفق .

وشعر الأعشى ، كالحمَّى ، يتركك كالمغْمَى ، أو كأنـك أعمى ، وهو من الغيث أهمى ، ومن النجم أسمى . وشعر النابغة سحر حلال ، لكنه يذهب عقول الرجال ، وله روعة وجمال ، وأبهة وكمال . وشعر زهـير كالمـاء الـزلال ، فيـه صـــدق واعتـــدال ، وحـــق وجلال ، بعيـــد عن الســـخف والإملال . وشعر ابن كلثوم يسـابق حسـامه ، كأنـه بـروق تهامة ، لأن صاحبه طالب زعامة ، يريد العزة والكرامة .

لما كان الشعر في روابي نجد الخضراء ، وفي فيافيها الفيحاء ، كان آية في الحسن والنبل والبهاء . فلما دخـل الشعر إلى القصور ، وسكن الدور، خرج كأنه جلـد ثـور، لا يطبخ في القدور ، ولا يهبط من النحور ، يحتاج البيـان إلى خيمة مضروبة ، ورابية منصوبة وخضـرة وخصـوبة ، لـترى الأمثال المضروبة ، والمعاني المرغوبة ، ولمـا صـار القلم بجـانب التلفـاز ، والعقـل بجـوار الجهـاز ، ذهب البيـان والإعجاز ، وغرُب الإبداع والإنجاز .

والسلام على نجد التوحيـد ، مـا تـردد تغريـد ، وعـذب نشيد ، وطاب قصيد ، وعاد عيد ، ورحمة الله عليكم أهـل نجد إنه حميد مجيد .

المقـامَــــة الـسُّـعوديَّـــة

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾

إذا بلغ الرضـــيع لنا فطاما **تخر له الجبـــــابر ســــــــــاجدينا**

السـعودية أرض التوحيـد ، والمجـد التليـد ، والنهج الرشـيد . وهي أرض الإنسـان ، والبيـان ، والإيمـان ، والقرآن . لأنها دار الإنسـان السـوي ، والمـؤمن الرضـي ، التـابع للمنهج المحمـدي . ولأنهـا أرض البيـان الخلاب ، والأدب الجذّاب ، واللغة الحية ، والموهبـة الأدبيـة . ولأنهـا بلاد الإيمان فمنها أرسل الإيمان إلى العالم أنواره ، وبعث إلى الدنيا قصصه وأخبـاره ولأنهـا مهبـط القـرآن بهـا نـزل جبريل ، على المعلم الجليل ، بآيات التنـزيل .

في هذه البلاد ، أعظم ناد للأجواد ، وأكبر واد للأجواد .

قال الموفق بن هادي : لا تلمني في حب بلادي ، فإنها سر أنسـي وإسـعادي ، فقـد بعث منهـا محمـد المحمـود ، رسـول الجـود ، صـاحب الحـوض المـورود ، والمقـام المحمود ، واللـواء المعقـود . وفيهـا ولـد أبـو بكـر ، طيب الذكر ، صاحب الشكر ، نير الفكر .

ومنها عمر ، جميل الخبر ، وناشر العـدل في البشـر ، وصاحب أحسن السير .

ومنها عثمان ، جامع القرآن ، ومكـرم الضـيفان ، ولـه من الرسول نوران .

ومنها علي ، البطل الـولي ، والسـيف الجلي ، خـائض الهول حتى ينجلي .

ومنها الأسياد ، والأجواد ، والآساد .

فلما سمعنا كلام الموفـق ، وإذا هـو بالـدليل محقـق ، قلنا : ونسيت البترول ، فإنه السيف المسـلول ، والشـافع المقبول .

قال : كلاّ ، لمن أعرض وتـولَّى ، فخرنـا بالرسـول ، لا بالبترول ، وسعادتنا بالذكـر المنـزل ، لا بالديزل ، وفرحتنا بالإسراء والمعراج ، لا بالحديد والزجـاج، وبهجتنـا بالمقـام والبيت ، لا بالزيت ، وتاريخنا بالإعجاز ، والإنجاز ، والامتياز ، لا بالبنـزين والغاز .

فقلنا له : اترك من هلكوا وبادوا ، وحـدثنا عن وصـول الرادوا ، ودعنـا ممن يهمـزون ويلمـزون ، وكلمنـا عن بث التلفزيـون ، ومـتى وصـلكم التليفـون ، ومـا كنتم قبلـه تعرفون ، بل بالجهل توصفون .

فقال : أخطأتم التقدير ، وخطأ العاقـل كبـير ، اعلمـوا أننا قبل الصناعة ، كنا أهل البراعة ، والشجاعة ، والذاكرة اللماعة ، وأهل الأصالة ، والرسالة ، والبسالة .

نحن الـــــذين روى

ونحن أعظم من في

أما تـــرى الشـــمس

والبــــــــدر في نورنا

كان العالم قبل وصولنا غابة ، كأن عليه جنابة ، وكانت الدنيا قبل ميلادنا في مأتم ، تشكو وتتألم ، فلما بزغ فجـر رسـولنا من البطحـاء ، أشـرقت على نـوره الأرض والسماء ، خيام العدل في بلادنا وولد الشرف مع ميلادنا ، مضرب المثل في الكرم من أوطاننا ، وأشـجع النـاس من وديانـا . نحن بعثنـا إلى الـدنيا النـور ، وأزلنـا منهـا الظلم والجور ، أذنّا في أذن الدنيا فـآمنت ، ومشـينا على جبالهـا فتطامنت ، كنا في الجاهلية الجهلاء ، أهل العزة الشـماء ، فلما جاء الإسلام كنا الأعلام ، والصـفوة الكـرام ، شـجاعة لو قابلتنا الأسود لهابت ، وعزيمة لو طرحت على الصخور لذابت ، هنا دار الفضـائل ، ومنـازل القبائـل ، عنـدنا قبلـة المصلين ، وكعبة الطائفين ، وملاذ الخائفين ، اختارنا اللـه لدينه أمناء ، وعلى الأمانة أوصياء ، من دارنا هـبّت كتـائب الفتوحـات ، وسـارت قوافـل التضـحيات ، عنـدنا محـبرة ومقبرة ، محبرة لتقييـد العلـوم ، وتسـجيل نتـاج الفهـوم ،

ومقبرة للغزاه ، والمحاربين الطغـاه ، نحن أول من حمـل السيف ، وأكرم الضيف ، وأبى الحيف .

أرضنا بدماء الشهداء تفـوح ، وقلوبنـا بأسـرار التوحيـد تبوح ، عنـدنا الـذهب الأبيض والأحمـر والأسـود ، فـالأبيض عِلم ينعش الأحياء ، من الشريعة السمحاء ، والأحمر دماء في عروق الأحرار ، وفي شرايين الأبرار ، والأسود يـترول مدفون في الثرى ، يدلف بالحضارة للمدن والقرىٰ .

اندهش الدهر يوم طالع صفحة جلالنـا ، وهـام الزمـان يوم أبصر لوحة جمالنا ، وتعجب كل جيل يوم قـرأ مكـارم أجيالنا ، وتحطمت جماجم الغزاة على جبالنا .

دافع الله عنا يوم قصدنا صاحب الفيل ، فعاد في ثوب ذليل ، ورد الله عنا غارة الفرس الكفار ، ومزّقهم في يوم ذي قار . وأنـزل اللـه نصـره علينـا في بـدر ، يـوم صـعب الأمر ، وضـاق الصـدر ، فأيـد رسـولنا بملائكـة مسـوِّمين ، وكــرام معلمين ، نحن خرجنـا للعـالم وفي قلوبنـا قــرآن نسـكبه في قلب من وَحّـد وتشـهد ، وفي أيماننـا سـيوف نقطع بها رأس من تمرد وألحد ، عنـدنا قداسـة الإنسـان ، وقداسة البيان ، وقداسة الزمان ، وقداسة المكان.

فقداسـة الإنسـان ماثلـة في الرسـول العظيم والنـبي الكريم ، وقداسة البيـان قائمـة في القـرآن ، الـذي أذهـل الإنس والجـان ، وقداسـة الزمـان ، كامنـة في عشـر ذي الحجة ورمضـان ، وقداسـة المكـان في الحـرم الطـاهر ، والمشــعر الزاهــر . ليس للزمــان بــدوننا طعم ، وليس للتأريخ سوانا رسم ، وليس للنـاس إذا أغفلنـا اسـم ، نحن شــهداء على النــاس ، ونحن مضــرب المثــل في الجــود والبأس . كأن النـور ولـد معنـا ، وكـأنّ البشـر لفـظ ونحن معنى ، جماجمنا بالعزة مدججة ، وخيولنا بالعزائم مسرجة ، نحن الأمــة الوســط ، لا غلــط في منهجنــا ولا شــطط ، وسـط في المكـان فنحن قلب الكـرة الأرضـية ، وزعمـاء الأخلاق المرضــيّة ، ووســط في الزمــان فلم نــأت في طفولــة الإنسـانية ولم نتـأخر إلى شـيخوخة البشــريّة ، ووســط في العقيــدة فنحن أهــل التوحيــد والمــذاهب

السـديدة ، فلم نعتنـق رهبانيـة النصـارى ، ولم ننهج نهج اليهود الحيارى ، بل أمتنا معصـومة من الضـلالة ، مصـونة من الجهالة .

نحن الـذين إذا دعـوا

والحرب تسـقي الأرض

جعلـوا الوجـوه إلى

في مسـمع الكـون

أليس في بلـدنا الـركن والمقـام ، والبلـد الحـرام ، وعندنا عرفات ، ومنى حيث الجمـرات وزمـزم والحطيم ، والمشـعر العظيم ، وفي أرضـنا غـار حـراء ، مشـرق الشـريعة الغـراء، ونـزل في أرضـنا جبريـل ، على المعلم الجليل ، وحمى بيتنا من الفيل ، بطير أبابيل .

ومنَّا خالـد بن الوليـد ، وأسـامة بن زيـد ، وطلحـة بن عبيد .

وفي دارنـا عائشـة أم المكرُمـات ، المـبرَّأة من فـوق سـبع سـموات ، وفاطمـة البتـول ، بنت الرسـول ، طيبـة الأصـول . وفي أرضـنا الحرمـان ، والبيتـان ، والعُمَـران ، والهجرتان ، والبيعتان ، والسبطان ، والقـرآن ، والإيمـان ، والبيان .

نحن أهـل عذوبـة الألفـاظ ، والجهابـذة الحفَّاظ ، وفي بلادنا سوق عكاظ .

نحن الـــذين على

وقف الزمـان مـدلها

تيجـان عزتنا النجـوم

غـيرَ الوفـاء وصـارما

في بلادنا البطحاء ، حيث انطلقت الشريعة السمحاء . وعندنا نجد الأبيّة ، مطلع شمس العربية ، ومنبع المـواهب الشاعرية ، والخطابية .

ولدينا عسير ، حيث المسك والعبير ، والجمال منقطع النظير ، والذكاء الشهير .

ولـدينا حائـل ، أهـل الفضـائل ، أحفـاد حـاتم الطـائي شرف القبائل .

ولــدينا الحجــاز ، أهــل الفضــل والامتيــاز ، والكــرم والاعتزاز .

ولدينا الإحساء ، دار الشرفاء ، وبيت الأوفياء .

فغربنــا أرض النبــوة المحمديَّة ، والســنة الأحمديّــة ، أرض قـــدمت للعـــالم أشـــرف هديّـــة . وشـــرقنا أرض الخـيرات ، وبلـد المسـرَّات ، ودار الهبـات ، والأعطيـات . ووســطنا دار الملــكُ والإمــارة ، وبيت الجــدارة ، ومحــل الوزارة ، والسفارة . وشمالنا أرض الجود ، والند والعـود ، والأسود ، وحفظ العهود ، وإكـرام الوفـود . وجنوبنـا أرض الهمم الوثابــة ، والطبيعــة الخلابــة ، والأخلاق الجذَّابــة ، والفهم والنجابة ، والشعر والخطابة .

نحن كتبنا التـأريخ بالـدماء ، ووصـلنا الأرض بالسـماء ، أنجبنا العلماء ، وأنتجنا الحكماء ، وأرسلنا للعالم الزعماء ، وأهدينا الدنيا الحلماء .

إذا لم يبدأ التأريخ بنا فاعلم أنه منكــوس ، وإذا لم يثُنِ علينا سِفر المكارم فـاعلم أنـه منحـوس . كسـرنا سـيوفنا في بــدر ، على رؤوس أهــل الكفــر ، ثم أرســلنا شــظاياه لصلاح الدين ، في حطين ، فقهر بها الملحدين . رددنا في أحد " قل هو الله أحـد " فسـحقنا من جحـد وقطعنـا دابـر من فسد .

منـا قائـد القادسـية ، الـذي أسـقط العجم في الخانـة المنسـية . ومنـا قائـد الـيرموك ، الـذي أذهب من رؤوس الروم الشكوك ، وصبغ وجوههم بالدم المسفوك .

ابدأ بنا في رأس كل ... أســـماؤنا في أصـــلها

وإذا كتبت رواية ... فحــــديثنا من ضـــمنها

نحن أرسلنا بني أمية ، ملوكاً للـديار الشـامية . وبعثنـا لبغداد بني العباس ، أهل الجود والبأس . وجيش العجم ما أسلم ، حتى بعثنا له قتيبة بن مسلم .

ومددنا للهند السيف الحاسم ، محمد بن القاسم .

من كتب التأريخ وأهمل الجزيرة ، فقد ارتكب كبـيرة ، وأتى بجريـرة ، كيـف يهمـل الرسـول والأصـول ، وأهـل المنقـول والمعقـول . كيـف يأخـذ البـدن بلا روح ، ويجـرد البستان من الدوح . كيف يبني القصر على غـير أسـاس ؟ ويقيم الجسم بلا رأس .

تريد المسجد بلا محراب ، والمدرسـة بلا كتـاب ، نحن الفصـول والأبـواب ، ونحن السـيف والنصـاب ، لسـجل المكرمات كُتّـاب ، ولأرقـام المجـد حسـاب ، وعلى قصـر الرسالة حجاب .

نحن قلب المعمـورة ، وأصـحاب المنـاقب المـأثورة ، العـالم يتجـه إلى قبلتنـا كـل يـوم خمس مـرات ، والـدنيا تنصت لندائنا بالصلوات ، والكون يستمع لتلاوتنـا بالآيـات ، زارنـا بلال بن ربـاح ، فصـار مـؤذن دولـة الفلاح ، وجاءنـا سلمان من أرض فارس ، فلما أسلم صار كأنه على قــرن الشـمس جـالس ، ووفـد إلينـا صـهيب من أرض الـروم ، فأصـبح من سـادات القــوم ، من بلادنـا تشـرق شـمس المعارف ، ويقام للعلم متاحف ، وتنشر للهدى مصـاحف ، حتى ماؤنا يفوق كل ماء ، فماء زمزم شفاء ، ومن كل داء دواء ، ونحن بيت العرب العرباء ، وعندنا سادات الكرماء ، ولـدينا أسـاطين النجبـاء ، وأسـاتذة الحكمـاء ، إن ذكـرت الحرب فنحن وقودها ، وإن ذكـرت الملـة فنحن أسـودها ، وإذا سمعت بالرسالة فنحن جنودها .

المقـامَـــة الـســراتيّــــة

﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴾

كنا جبــــــالاً في الجبــــــال وربما
ســرنا على مــوج البحـــــار بحـــارا

سَــلِّمْ على الســراة ، وعلى الجنــوب مدنه وقــراه ، لتكـون مع التـأريخ صـادقا ، وبـالحق ناطقا . في الســراة رجال تكاد الأسود أن تقول من شجاعتهم رفقـاً يا نـاس ، ويكاد السحاب ينادي جبالها لا مساس .

بها ولد أبو هريرة سـيد المُحـدِّثين ، وهي ديـار الخليل بن أحمد إمــام النحــويين ، من الســراة ســارت قوافل الوفود ، إلى رسول الوجود ، تعاهد على نصـرة الإسـلام ، ومتابعة الإمـــام . منها وفد جرير ســيد بجيله ، صـــاحب المواقف الجليله ، ومنها أطل الطفيل ســيد دوس ، موقد الحرب الضروس .

في جبـــال الســـروات نظم الشـــنفرى الأزدي لاميته العصماء . وفي روابيها سـجل الخثعمي داليته الغـراء . أما علمت أنها أرض القرني أويس ، وبلاد أســماء بنت عميس .

السراة حيث خصوبة التراب ، ونداوة الضــباب ، وهمع السحاب .

في الســـراة كل خطيب وشـــاعر ، لأن الشـــعر من المشاعر .

كأن الطل بديارهم دموع حبيب ، وكأن الظل بأرضـهم برد قشيب .

أرض إذا طــــــاولت هــــــــام جبالها
قــــالت تواضع أيها الإنســــــــــــانُ

وإذا دخلت غياضــها غنَّى الحمام وصفق

فيها مدرسة الحفظ لأن الحفظ هريـري دوسي ، وهي إيوان الزهد لأن الزهد أويسي

هنا الشعر الفصيح ، والنسب الصـريح ، والوجه المليح ، خطبـاء حفَّاظ ، يغـار منهم سـوق عكـاظ ، لروعة تلك الألفـاظ ، مع القمم همم ، ومع الشـجاعة كـرم ، لا تنكر أخلاقهم البديعة ، فكما قـال ابن خلـدون : الأخلاق تتبع الطبيعة . ذكرهم الهمداني في الإكليل ، فكان قلمه بالثناء يسيل .

بلادهم ديـار الجـود ، وعـرين الأسـود ، البخل عنـدهم ذنب لا يغفر ، وعـدوهم بـالثرى يُعفَّر ، أريحيّة يهـتز منها النسـيم ، وحاتمية ينشأ عليها الفطيم ، مشـاعر جيَّاشة ، وأرواح هشَّاشة ، ووجوه بشَّاشة ، ماء البِشر في صفحات الوجوه يترقرق ، ودم البطولات في شرايين الأبوة يتـدفق ، إصرار على القيم ، وحفاظ على الشيم .

قلوب حُشيت بالإيمان إلى الأعماق ، فليس بها مكـان للكفر والنفاق .

ما دخلها فيلسـوف ، لأن صـوت القـرآن بهـا يطـوف ، وما حلها زنديق ، لأن أسد الرسالة في الطريق .

إذا كـبر الأزدي في حومة الـوغى ... رأيت شـجاعاً سـيداً وابن سـيدِ

ويطـربهم وقع الرمـاح فما لهم ... سماع لعـود أو غنـاء لمعبـدِ

عروبة صريحة صراحة اللبن المذاب ، والسنة فصـيحة فصاحة الفجر الجذّاب .

هم أعمام حسَّان ، وأخوال سحبان ، وأجداد غسّان .

بديهتهم أسرع من الضوء إذا سـرى ، وذاكـرتهم أغـزر من السيل إذا جرى، ما قطر للإلحاد في ديـارهم قطـرة ، لأنهم على الفطرة .

لو رأى جمال أرضهم كنفشيوس المسكين ، لمـا نظم قصيدة مرحباً يا بكّين ، ولو أبصرها جوته شـاعر الألمـان ، لما أنشد إلياذة الحرمان :

فـــــــالطير يرسل	**والغصن يعـــــــزف**
للعشـــــــــاق أغنية	**والأرواح في طــرب**
في كل يـــــوم لهم	**فالســـحر والشـــعر**
عيد بأرضـــــــهمُ	**بين الجد واللعب**

طاب الهوى ورقَّ الهـواء ، وزان الظل وعـذب المـاء ، أرض تصـنع بها القــوافي ، مع الــود الصــافي ، والجمــال الضافي .كأن وحي البيان ، أرسل لطير البستان ، فـالتقى سحر الكلام ، مع نشيد الحمام ، ودمع الغمام :

رفقا بقلـــــــبي يا	**بشر وهـــذا الســـحر**
جنــــوب فــــإنني	**يخلب عيــــــــني**
قتل المحب بحـــوز	**لو كــــان دينك في**

ولو عـدل صـاحب البوصـلة لوجهها للجنـوب النفيس ، وذاك الروض الأنيس ، وترك هضبة مغناطيس .

ولو رأى نــابليون جبــال الجنــوب ووديانه ، لأراحنا من هيامه بجزيرة هيليانه .

والجنــوب لم تدخله الباطنية ، ولا مــذهب الظاهرية ، بل تلك الديار سنيَّة سـلفيّة ، وقد رحبـوا بـدعوة التوحيد ، الــتي أطلقها المجــدد الفريد ، صــاحب النهج الســديد ، وتقبلوا لهـذه الـدعوة بقبـول حسن ، وصـاروا على أحسن سنن .

وقد ردوا كل نحلة لا تصح ، لأنه نهي أن يــــــــورد الممــرض على المصح ، وعــاش أجيالها اليــوم على كتب ابن تيمية ، وابن القيم الجوزية ، وكتب مجـــدد الـــدعوة السلفية .

وقد آتــاهم الله أذهانــاً بالبديهة ســائلة ، وألســنة بالفصــحى قائلة ، ينظم أحــدهم الأرجــوزة ، في جلسة وجيزة ، وينشأ أحدهم القصيدة ، بموهبة فريدة .

شاركوا في القادسـية وقـادهم جرير ، وأنزلـوا رسـتم من على السرير ، ما عرض الإسلام على أحدهم إلا أسلم ، وما نودي يوم الروع إلا تقدم ، دعا الرسـول ﷺ الأزدي أبا ضماد ، فأجابه إلى الإسلام والجهـاد . وذكر ابن القيم وفد الأزد فـأطنب في ذكـرهم ، وأحسن في شـكرهم . وذكر حديثاً يروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في وفـدهم :

علماء ، حلماء ، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء .

ومنهم محمد بن واسع الزاهد العابد ، العـالم المجاهد ، صاحب الكلمات الفاصله ، التي هي إلى القلوب واصـلة . ومنهم المناذرة الملوك ، ومجدهم بالجود محبوك .

وعلى بسـاطهم وقعت المسـاجلات ، وفي ديـوانهم حصلت المناظرات والمحاورات .

ومنهم الغساسنة ملوك الشام ، أهل القلم والحسام ، حتى قال حسان :

إن تسـألينا فإنّا الأزد نسـبتنا والمـاء

ومنهم آل المهلب أسـرة الشـرف والريـادة ، والكـرم والسيادة .

واعلم أن أصول كثير من العلماء السـراة ، من جبـال السـراة . فعبد الغـني الأزدي الحافظ الشـهير ، آبـاؤه من السروات بلا نكير ، والطحاوي صـاحب العقيـدة ، من تلك البلاد المجيـدة ، بل ذكر الشـيخ المنسي في كتابه في تـاريخ الرجـال ، أن مئـات المحـدثين من تلك الجبـال ، واحتفل النسّابة الجاسر ، بـذكر مـواطن القـوم والمـآثر ، وطالع ما كتبه عن رجالهم الذهبي في السير ، وما سطره أهل التاريخ والخبر .

وفيهم ثلاث فضـائل ، لم تجتمع في غـيرهم من القبائل :

سـلامة الصـدور ، كمـاء الطهـور ، فليس عنـدهم ضغائن ، ولا دفائن ، بل غضب الواحد في لسانه ، ثم يعود إلى إحسانه .

ومنها ذكـــاء وقَّاد ، وطبع في الفهم منقـــاد ، مع غزارة في القريحة ، وأخلاق مليحة .

ومنها فصاحة وبيان ، كأن على طـرف كل لسـان سحبان ، وعلى شفتي كل شفة حسان . والحمد لله الذي سلمهم من برص الاسماعيلية ، وسرطان النصيرية ، وداء البطائحية ، وحمق الصوفية ، وتجهم الجهمية ، فطـريقتهم محمديّة أحمديّة .

وليس عنــدهم صــلف الخــوارج المــارقين ، ولا عتو الروافض المتحـرقين ، وليس للزندقة عنـدهم قـرار ، وما للبدعة ببلـــدهم دار ، بل هم أهل ســـكينة ووقـــار ، كما وصـفهم بـذلك المختـار . ولم تـدخلهم العجم الجفـاة ، ولا طيش الأعـراب الحفـاة ، فهم أهل جنـات وعيـون، وأهل أدب وشجون .

وقد مــدحهم الداعية الشــهير القرعــاوي ، وذكــرهم بحسن المساعي ، وإجابة الداعي ، وسطر فيهم الشـعراء أحسن قصائدهم ، ودبّج فيهم الخطباء أجود قلائدهم .

وسل أهل العلم ممن زارهم ، وحل دارهم ، فإنه ينقلب إلى أهله مســـرورا ، بعد أن ملئـــوه حبـــورا . وما دفعني لما قلته عصـبية ، أو حمية مذهبية ، بل كلمة حق ، وشــهادة صــدق ، وقد ذكــرت فضــائل غــيرهم من أهل البلدان ، وما تنقصت بسببهم غيرهم من سكان الأوطان ، وانظر الإنصـاف والإتحـاف في المقامة المكية ، والمقامة النجدية ، واليمنيّـــة ، وغيرها من المقامـــات ، وهـــذا من الاعتراف بالحسنات .

واعلم أن مئات المؤرِّخين والأدباء ، سبقوني إلى ذكـر مناقب جبـال السـروات الشـمَّاء ، وأهلهـا الكرمـاء ، وقـد نظم لبيد قصيده في تباله ، وحط ابن بطوطة في السراة

رحاله ، ولما زارها تأبط شـرا ، مـدحها وقـد تأبـط خـيرا ، وقد قال أحد شعرائها ، ينوِّه بمجد فضائلها .

نحن وجه الشـــمس إســــلام وقـــوة **نسب حر ومجد وفتـــــــــــوة**

نحن أزد الله في يـــوم الــــردى **قد وضعنا الكفر في ســـبعين هـــوة**

وأويس جــــدّنا من **أو ما تلمح مجداً في**

المقـامَـــــة الـخليجيّـــة

﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

إن كيد مطّـــــــرف   نغـدو ونسـري في
الإخـــــــاء فإننا   إخـــــــــاء تالد
أو يختلف مـــــــاء   عـــذب تحـــدر من
الغمـــــــام فماؤنا   غمـــــــــام واحد

كنت في أمر مـريج ، حـتى دخلت الخليج ، فقلت أين المجـــالس النديّة ، والأخلاق الودية ، والأمـــاني الوردية ، قالوا في السعودية .

قلت : جـاش حـبي وفـاض ، وليس لي على رسـول الحب اعتراض ، فاقضِ ما أنت قاض ، إذا هبطت الريـاض .

ولا تلم من حن قلبُه إلى قطر ، وصــــــــار دمعه مثل المطر ، فكم للمحــــبين من غــــدوة وروحة ، إلى روابي الدوحة .

وسـلم على عمـان ، أهل الشـعر والبيـان ، وإكـرام الضيفان ، وهم يوم الروع شجعان

وسـبحان من مـرج البحـرين يلتقيـان ، يخـرج منهما اللؤلؤ والمرجان .

أحرزوا ذروة المجد وسنامه ، ونصبوا خيـام الجـود في المنامة .

ودخلنا أبا ظـــبي فوجـــدنا أســـودها تحمي ظباءها ، والحسن قد ملأ سماءها .

فحمى الله الإمـارات ، من الغـارات ، فقد حققت في العلياء انتصارات ، وشيدت للعلم منارات .

كم من محب يقـــول من الحب انكـــويت ، فاســـألوا الكـــويت ، حماها الله من العـــدوان ، وصـــانها من حسد الجيران ، ومن غيرة الإخوان .

**لي في الجزيـــــرة		في نجــــــدنا حيث**
**آمــــــال مجنّحة		يســــموا الشــــعر**
**حي الكــــويت فلن		والخطبُ**
**ننسى مودتها		محفوظة ما دهاها**
**وفي المنامة ســـفر		الهــــــول والعطبُ**
**الحب نقــــــرؤه		على خدود الهوى من**
**بلغ عمـــان تحيـــات		حبنا عتبُ**
**مباركة		أزدية ولها في أرضـنا**
**وطف على دوحة		نســـــــــــبُ**

في الخليج دمع يــترقرق ، ومــاء يتــدفق فيها ، ذكــاء وامتياز ، وزيت وغاز ، وبنـزين وقاز .

وفي الخليج ضيافة حاتمية ، ودعوة إسلامية ، وصحوة عالمية ، تغذيها كتب ابن تيمية . في الخليج مكة الرسالة ، ونجد البســــالة ، ومنامة الشــــهامة ، ودوحة الكرامة ، ومســقط الزعامة ، وفي الكــويت سل المجد حســامه ، وبلغ العز في أبو ظبي تمامه .

الخليج أرض الأنبياء ، ودار الأوليـاء ، وروضة العلمـاء ، وسرادق الكرماء ، وديوان الشعراء .

من الخليج محمد الرســول الخــاتم ، مصــلح العــالم ، ومنها حــاتم المكــارم . وخالد صــاحب العــزائم ، الملحق بالأعداء الهزائم .

من الخليج شـعراء المعلقـات ، والملاحم الشـرقيات ، وتلك المثل الراقيات . وفيها الرجال ، والجمال ، والمال ، والسحر الحلال .

في الخليج الشــدة والرخــاء ، والحــدائق والصـحراء ، والجفاف والماء ، والأرض والسماء ، والدهماء والعلمــاء . هنا طائرة وباخرة ، وحضارة فـاخرة ، وصـحراء سـاخرة ، ودنيا وآخرة . بيع وشراء وقرض ، إيراد وتصدير وعــرض ، عمار وبناء فوق الأرض ، وثـروات وخـيرات تحت الأرض . لحركة التعمير ضجيج ، وللبترول رغاء ونشيج ، وللبســاتين عطاء من كل زوج بهيج .

في الخليج يلتقي التاريخ والجغرافيا ، لـترى الحب في ماء الخليج صافيا ، وتقرأ الود في عيون الخليجـيين وافيا . لا يكره الخليج إلا حاسدا ، وجاحدا ، أو جامدا .

فالحاسد غلبه هــواه ، وحســده أغــواه ، وقد خــاب مسعاه .

والجاحد أنكر الجميل ، وأكـــثر من القـــال والقيل ، والكثير من الإحسان عنده قليل .

والجامد ، بارد الإحساس ، واهم القياس ، اختلط عليه أمر الناس .

في الخليج فصاحة وقافية ، وعين صافية ، وقيم وافية ، وصيدلية شافية ، وكنوز كافية . هاجر العــالم إلى الخليج بالملايين ، فالمسلم جـاء يبحث عن الـدين ، والجيولـوجي أقبل من أجل التعدين ، والخواجة أتى ينقب عن البنـزين . جاء الهندي إلى الخليج بالرز ، وجاء الإلماني بالبنـز ، وجاء الإيطالي بالبز . والكل يطلب العز والكنـز .

في الخليج بئر وبعير ، وأعاصير ومواصير . وشـبكات ، وشيكات ، وشركات . وريال ، ورجال ، ودينار ، ودولار .

انبعث البعــثي من بغــداد ، وقد لبس الســواد ، وحمل الســكاكين الحــداد ، فبقر بطــون الجـيران ، وحطم بفأسه الجدران ، وأذاق الموت الإخوان ، قيل له لم فعلت هذا يا خّوان .

فقال :

وأحيانا على بكر أخينا

إذا ما لم نجد إلاّ أخانا

قيل له : بـالأمس كنت تهـدد إسـرائيل ، وأقسـمت أن ترميها بطير أبابيل ، تحمل المزدوج والكيماوي في براميل ، فمالك ضللت السبيل ، يا عميل .

فقال : أما سمعت الشاعر الأصيل :

أسد علي وفي الحـــروب

فتخــــاء تنفر من صـــــفير

ليتنا عن البعــثي ما مــدحنا ولا حكينا . فكم من ظلمه اشتكينا . ومن قهره بكينا .

وفي المثل : لا تعط المجنـون سـكِّينا .كيف تـأمن من يقول : آمنت بـالبعث ربـاً لا شـريك له ، ويسـتعرض على جيرانه هيكله . الـذي يصـلي والمـزدوج في جيبِه ، وينـوي المــوت لحبيبه ، ويوجه الصـــاروخ لقريبه . فلا تثق به ولو صـلى ، فقد أعـرض وتـولىَّ، وعن دينه تخلى ، وإلى النـار تدلىَّ . لو كنت أيها البعثي نسيب حسيب ، عـريب لـبيب ، كنت أحرقت تل أبيب . لكنك لمولاك عصـيت ، ومن الحق أبيت ، وعن هديه تـوليت ، ثم غـزوت الكـويت . لو رحَفت إلى اليهود ، إخوان القرود ، كانت صفَّقت لك كل الوفــود، وأعانتك الجنود ، وخفقت على رأسك البنود ، وأتاك الدعم بلا حدود .

لكن كتب عليك الشقاء ، فقـاتلت الأشـقّاء ، وحـاربت الأصدقاء ، ليكونوا لك أرقاء ، وتـركت الأعـداء ، البعـداء ، الألداء ، فأنت كمن ترك الدواء ، وتناول الداء .

حـــزب البعث العـــربي الاشـــتراكي . أربع كلمـــات ، ظالمات ، كاذبات ، خاطئات .

فحـزب معنـاه : تحـزيب الأمة إلى دويلات ، وتشـتيتها إلى مقاطعات ، وتمزيقها إلى جماعات .

البعث معناه : بعث الإحن والأحقـاد ، وتخـريب البلاد ، وتعذيب العباد ، باسم صوت الجماهير من بغداد .

والعربي معناه : بلا عرب ، وزرع الغضب ، والقتال بلا سبب ، فعلى القريب لهب ، ومن العدو هرب .

والاشتراكي : تحويل المسـلمين ، إلى عقيـدة لينـين ، واســـتالين ، وتوزيع الملايين على البعثـــيين الملاعين . قاتلهم الله آمين .

نريد من بغـداد ، أن تكـون بغـداد المـأمون والمعتصم والرشيد، لا بغداد ميشيل عفلق المريد الرعديد .

لما كانت بغداد في العصر العباسي كانت قبلة الوفـود ، وعرين الأسود ، ومشرق الحب والسعود ، فلما أصـبحت بغداد في يد البعث الحقـود الحسـود ، صـارت تطلق على الجيران الاسكود ، وغاز الأعصاب حارق الجلود .

أيها الخليجيّون : ليس فخـركم أنكم بلد البـترول ، إنما الفخر أنكم بلد الرســول ، فلا تفرحـــوا لأن الــزيت في أرضكم سقط ، لكن افرحوا لأن الوحي في أرضكم هبط .

أيها الخليجيّون : ليس شرفكم زيت دفق ، لكن الفخر أن في دياركم رسول صدق ، وبالحق نطق .

العــالم يتجه إليكم خمس مــرات ، ليصــلي إلى كعبة المسرات ، لقد صرتم بهذا الحـرم سـادة العـالمين ، وفي دنيا الأمجاد مبدعين ، ولأجل عين تكرم ألف عين ، فكونوا إخوة أجمعين ، ولا تطيعوا الشيطان اللعين .

المقـامَــة الـيمـانيــّـة

((الإيمـان والحكمـة يمـانيـة))

((قبـلات على جـبين صنعـاء))

دخلنا صنعاء ، بعد ما قرأنا الدعاء ، فوجدنا صـالح بن مقبول ، ينشد ويقول :

نزلنـا على قيسيّـة يمنيـّة ... لها نسب في الصـالحين هِجـانِ

فقالت وأرخت جانب السـتر بيننا ... لأية أرض أمْ من الـرجلانِ

فقلت لها : أمـا تميـم وأما أسـرتي

فقـال أهل اليمن : أنت من ؟ قلت النسـبة أزدية ، والملّة محمّدية ، قالوا : انزل غير بئيس ، ولا تعيس ، فإن منكم القرني أويس ، قلنا كفاكم قـول من جـاء بالشـرائع الإيمانيـة، حيث يقـول : الإيمـان يمـان ، والحكمة يمانية ، قالوا : صلى الله عليه وسـلم كلما فـاح ورد ، وثـار وجد ، وتلي حمد ، وحـلّ سـعد ، قلنا كيف الحـال ؟ يا معاشر الأقيـال[1] ، يا أهل الخطب الطـوال ، ويا أصـحاب البديهة والارتجال ، ويا رواد الأشعار والأزجال .

ألا أيها الركب اليمانون عرِّجوا ... علينا فقد أضحى هوانا يمانيا

نُسائلكم هل سال نعمان بعدنا ... وحب إلينا بطن نعمـان واديا

وقد قيلت فيكم المـدائح ، الـتي سـالت بها القـرائح ، وحفظها عنكم التـأريخ ، فوصل بها مجـدكم المـريخ ، أنسـيتم ما ذكـره في مـدحكم الهمـداني ، وما سـجله في مجدكم صاحب الـديباج الخسـرواني ، أليس ينسب إليكم السيف الهندواني ، وسمي باسمكم ركن الـبيت اليمـاني ، وسهيل أحد النجوم الدواني ، ومنكم محدث العصر الأمـير

[1] - الأقيال : اسم لملوك اليمن .

الصــنعاني ، والعلامة الربــاني الإمــام الشــوكاني ، وتــاج العلماء الكوكبـاني ، وسـيد الأوليـاء أبو إدريس الخـولاني ، ومفتي الـديار العلامة العمـراني ، وابن الـديبع الشـيبانَّي ، وشــيخ الشــيوخ الأريــاني ، والقاضي أحمد الحضــراني ، وخطيب الخطبـاء البيحـاني ، وأسـتاذ الإعجـاز الزنـداني ، وقد أثــنى عليكم شــيخ الإســلام ابن تيمية الحرَّاني ، لما شـرح حـديث الإيمـان يمـاني ، ومجّـدكم ابن رجب بالفقه في المعــاني ، وحسـبكم مـدح الرسـول العـدناني ، فإنه خصّكم بعلم الحكمة في المثاني ، ومنكم شـاعر الرسـول صـلى الله عليه وسـلم حسّـان ، وملك العـرب النعمـان ، وخطيب الدنيا سحبان ، ومنكم سيف ذي يزن في غمـدان ، أما سمعت الشاعر حيث يقول :

ألا لا أحب السير إلا ... ولا الـــــبرق إلا أن

فميّـز بـرقكم عن كل بـرق لأنه صـدق ، يـأتي بـالغيث والودق ، وذكر امرؤ القيس التاجر اليمني في لاميته فقال :

فــــألقى بصـــحراء ... كفعل اليمـــاني ذي

منكم الأوس والخزرج ، والملكـان الحـارث والأعـرج ، وعمر بن معد يكــرب المقــدام المــدجج ، ومنكم الملكة بلقيس ، وأســـماء بنت عميس ، وأبو موسى عبد الله بن قيس ، وعلى ألسـنتكم تسـيل القـوافي ، وفي ضـيافتكم تشبع العوافي ، بديهتكم سريعة ، وذاكرتكم بديعة ، وفيكم الفصـــاحة والصـــباحة ، والســـماحة والملاحة ، ودعا لكم المعصوم فقال : اللهم بارك لنا في يمننا ، وأقول : ووفق أهل صنعانا وعدننا .

قال الزبيري في قصيدة الوطن ، يخاطب اليمن :

مزقيـــني يا ريح ثم ... أشـلاء جسـمي في
وزعيـــــــني على ... بين الحقــــــــول
وصــــلي جـــيرتي ... وقصِّي عليهمـوا ما
هل بكـــاني هزارها ... طيرها هل شجاه ما

ليت للـــروض مقلة   يبكيه مثلما أبكــاني

وقد ذكر الذهبي في النبلاء ، في سيرة همـام بن منبه أحد العلمــاء ، أن رجلاً من قـــريش ، صـــاحب ســـفاهة وطيش ، قال لأحد أهل اليمن ، وكان اليمني ثقة مؤتمن : ما فعلت عجـــوزكم قـــال : عجوزنا بلقيس أســـلمتَّ مع ســـليمان لله رب العـــالمين ، وعجـــوزكم يا قرشي حمَّالة الحطب دخلت النار مع الداخلين ، فغلب القرشي وأفحمه ، وفي كل كرب أقحمه . والمتنبي شـاعر المعـاني ، أثـنى على السيف اليماني ، فقال في نونية رائعة ، وفي قصيدة ذائعة :

برغم شبيبٍ فارق

وكانا على العلات

كـأن رقـاب النـاس

رفيقَك قيسيٌّ وأنت

وذكــروني بشــاعر معاصــر وإليــه ردوني ، أعــني بــه شاعركم عبد الله البردوني ، حيث يقول مخاطباً الرســول ﷺ :

نحن اليمانين يا طه

إلى روابي العلا أرواح

إذا تذكرت عماراً

فافخر بنا أننا أحفاد

وقد رفعتم رؤوس العـــرب ، لما انتصر ســـيف بن ذي يزن وغلب ، على أبرهة حامل الكـذب ، فـزارتكم الوفـود بما فيهم عبد المطلب ، فأشـــاد بكم أمية بن أبي الصـــلت في لامية عصماء ، أبهى من نجوم السماء يقول :

اجلس برفق عليك التـــــاج مرتفعـــــاً   بقصر غمـــــدان دار منك محلالا

تلك المكـــارم لا   شيبا بماء فعادا بَعْد

وأطعتم معاذ بن جبل ، ورفعتمــوه في المحل الأجل ، ونصرتم علي بن أبي طالب ، صاحب المنـاقب والمـواهب ، فقال :

ولو كنت بوابًا على   لقلت لهمـــــــــدان

وقتلتم الكـذاب الأسـود العنسي ، فصـار في التـأريخ المنسي ، ومنكم المقـدام يـوم القادسـية ، الـذي سـحق الجمـوع الفارسـية ، ومنكم الشـاعر وضّـاح ، الـذي هـزّ بشـعره الأرواح ، وأنتم أرق الأمة قلوبـاً ، وأقلها عيوبـاً ، وأطهرها جنوبـاً ، وفيكم سـكينة ووقـار ، وفقه واعتبـَّار ، ومنكم أوليــاء وأبــرار ، وكفــاكم أن منكم الأنصــار ، مع تواضع فيكم وانكسـار ، ومنكم مؤلف الأزهـار ، وصـاحب السيل الجرَّار ، ومـدبج الغطمطم التيّـار ، ومنكم المحقق الشـهير ، والمجتهد الكبـير ، أعـني ابن الـوزير ، صـاحب العواصم والقواصم والروض الباسم ، خطيبكم إذا تكلم بز الخطبـاء ، وأسـرها وسـحرها فإما منّـاً بعد وإما فـداء ، وشاعركم إذا حضر غلب الشعراء ، وصـارت أفئـدتهم من الذهول هـواء ، الضـاد بأرضـكم ميلادها ، والعروبة عنـدكم أولادها ، والحميريّة أنتم أحفادها ، أما قال الشاعر :

يمنيـّون غيـر أنّا حفــــــــــاة   قد وطئنا تيجــــان كســـرى وقيصـــرْ

عندكم الجبال ، والجمـال ، والسـحر الحلال ، والبلاغة في الأقوال ، مع سلامة صدور ، وبعد عن الكبر والغـرور ، وخفة أرواح ، ودعابة ومزاح ، وقدرة على الحفظ ، وسبك اللفظ ، وجــودة خــاطر ، بكل لذيذ عــاطر ، مع بســمة وبشاشة ، ونفــوس بــالحب جيّاشة ، عــانقت جبــالكم السـحاب ، واحتضن شـجركم الضـباب ، وقبل ريحـانكم التراب ونادت غدرانكم : اركض برجلك هذا مغتسل بــارد وشـراب ، كـأن بُنَّكم إذا مـزج بالهيل ، وخلط بالزنجبيل ، فيض من السلسـبيل ، كأنه يقـول للشـاربين ، جئتكم من سبإٍ بنبإٍ يقين ، وبأرضـكم الأقحـوان ، يضـاحك الريحـان ، وبلبل البستان ، كأنه يتكلم بلسان ، في كل صباح يصـيح ،

كأنه خطيب فصيح ، من دخل روضـكم ظن أنه في إيـوان كسرى، يسري به النسيم فسبحان من أسرى :

أرض ثراها لؤلؤ وترابهـا — مسك وطينة أرضها من عنـــــــــبرِ

يتلو بها القمـــري والطير بين مسبح

طَلْع الزهر بها كأنه جُمان ، ولو سار بأرضها سليمان ، لسـار بترجمـان ، تباكرها الصـبا الشـمالية ، لا شـرقية ولا غربية ، فيا أنصار الرسالة في قديم الزمان ، أنتم أنصارها الآن ، فعضـــوا على التوحيد بالنواجذ ، فـــأنتم الأبطـــال الجهابذ ، وانصروا سنة المختار ، في تلك الـديار، وانهجـوا نهج السـلف ، فـإنكم نعم الخلف ، وارفعـوا للملة العَلم، فمن يشـابه أَبـهُ فما ظلم ، ففيكم علمـاء وعبـاد ، ولكم نوافل وأوراد ، وتديُّنكُم سـريع ، وفهمكم بـديع ، وقد قلتُ في صنعاء ، من قصيدة لي تحمل الحب والوفاء .

صـــنعاءَ صـــغنا لـــكِ

لـكِ الوفـاء فلا تبـدي لنا

على جفونـــكِ قتلى

حـتى الـذين بقـوا قتلى

رواية الســـحر في

والحسن في وجهــــــكِ

ليت الهـــوى تـــرك

فهو الذي رد بالألحاظ ما

إن كنتِ تبكين يا

فقد سـكبنا عليـكِ الغيث

اســـتغفري أنتِ مما

هــذا الجمــال اليمــاني

ولما تقدم الجيش البريطاني ، يريـد احتلال أوطـاني ، في بلـد جـيراني وإخـواني ، صـاح الشـاعر الأريـاني ، في

الشـعب اليمـاني ، مخاطبـاً جيش الغـزاة الـذي خدعتـه الأماني :

يـا بريطانيـا رويـداً رويـــــــــــدا — إن بطش الإله كـان شديـــــــــــدا
إن بطش الإلـــــه أهلـــــــك فرعو — ن وعـاداً من قبلكم وثمـــــــــودا
لا تظنـــــوا هـــــدم المـــدائن يـــودي — عزمنا أو يلين بأساً صليـــــــــدا
إن تبيـــــــدوا من الـــبيوت بطيـــارا — تكم مـا غـدا لـدنيا مشيـــــــــدا
فلنـــا في الجبـــال تلــــــك بيــــوت — نحتتهـا أجـدادنا لن تبيـــــــــدا
فالنـزال النـزال إن — لـــدى الحـرب لا

المقامة

كذبت والإله ما كان حـــــــــــتى — نملأ الأرض والسماء جنـــــــــودا
بعد أن تســـــــفك الــدماء على الأرض — وتــــــروي سهولهـا والنجـــــــــودا
ما خضعنا للترك مع قـــــــــربهم في الـــــدين منا فكيف نرضى البعيـــــدا
وهم في الأنــــــام أشـــــــجع جيش — فاســـــألوهم قد صـــادفونا أســـودا
يا بني قومنا سراعاً — فقد فاز من يمـوت

سلام على شوكان ، ورحمة الله على إريان ، وبركاتـه على كوكبان ، ومغفرة على عمـران وتحياتـه على خـولان وفضـله على همـدان . لأن التفسـير الصـحيح شـوكاني ، والشـعر المليح إريـاني ، والخطـاب الفصـيح كوكبـاني . والعقل الرجيح عمراني ، والوجه الصبيح خولاني ، والكـف السميح همداني .

وصرف اللـه النقم ، عن جبـل نُقم ، لأنـه أنتج لنـا ابن الوزير ، صاحب التحبير والتحرير .

شكراً لتلك الأرض لو
تســـقى بها الأوطـــان

اليمن مشـتق من الإيمــان لأنهم صــدّقوا بالرســالة ، وأظهـروا البسـالة ، وأكرمـوا رسـول الرسـول ، وقـابلوه بالقبول ، وجمعوا بين المعقول والمنقول .

واليمن مشـتق من اليُمْن لأنـه كـان ميمونـاً بجنـوده ، معيناً بحشوده .

واليمن مشتق من الأمانة لأن أهلها رجاله فـدوا الملـة بالنفوس ، وقدموا للشريعة الرؤوس :

أمة أمهـــــرت المجد

بـــذلت للـــدعوة الكـــبرى

المقامَة

واليمن مشتق من اليمين ، فهم ميمنة كتائب الجهاد ، ساعة الجلاد ، بالسيوف الحداد :

على الميــامن تلقانا

بعنا منَ الله أروحـــــــــاً

إذا رأيت من ينتقص اليمن فاعلم أنه يستحق التوبيخ ، لأنه يجهل أبجديّات التأريخ .

روى الطـبراني ، عن الرســول العــدناني ، في مــدح المــدد اليمــاني : إن نفس[2] ربكم من اليمن ، لأنهم أهــل نجدة وفطن . اليمن بلد **الأقيال ، والجبال ، والجمال ، والجلال** .

فالأقيال : طـردوا الأحـابيش ، وهزمـوا كـل جيش . **والجبال :** صـدّت الغـزاة المحـاربين ، ودمّـرت الإنجلـيز الكـاذبين . **والجمال :** رسـائل سـحر من الطبيعـة ، في حجاب الشـريعة . **والجلال :** إيمـان في قـوة ، وعلم مـع فتوّة . تعانَق في اليمن التـأريخ والجغرافيـا ، عناقـاً كافيـاً شافيا ، وتصافح بها الفقه والحديث ، والقديم والحديث .

---

[2] - معناه الفَرَج من الله بعد الشدّة .

إذا سال على حدائق الأزهـار ، السـيل الجـرار ، ظهـر لك أهـل التقليـد وحملـة الآثـار ، وإذا أردت الـدليل ، على فضل هذا البلد الجليل ، فعليك بالإكليل .

واعلم أنني ما أسرفت في المـديح بـل قصـرت ، ومـا طولت في الثناء بـل اختصـرت ، وكفى لأهـل اليمن مـدح المصطفى ، وإنما أردنا أن نكتب في ديوان الوفــاء ، وفي سجل الصفاء ،، وقد قال الشاعر يفتخر بكم :

نحن وجه الشـمس **نسـب حـر ومجـد**
كَـــــرِبُ عمي **وهبـوا لي المجـد**
والسـيوف الـبيض **يـوم ضـرب الهـاّم**

يا صنعاء نريد منك جيلاً ربانياً ، وشباباً محمديّاً ، وعزماً يمانياً ، وشكراً يا عدن ، على ترحابك بأتباع النبي الأمين ، وطـردك لعبيـد ليـنين ، واذنـاب اسـتالين ، لأن العـزة للـه ولرسوله وللمؤمنين .

المقامَة

سـلِّم على الـدار من

وانظر إلى الــــروض من

يا لوحة نسـخت فيها

قلـبي بروعة هـذا الوجد

وما كتبت هذه المقامة ، حتى طالعت كتب القـوم في الجبـال وتهامـة ، فقـرأت كتب ابن الـوزير ، وكتـاب ريـاح التغيـير ، وسـامرت كـل مرجـع ، وراجعت تـأريخ الأكـوع ، ورافقت كتاب البدر الطالع ، فإذا هـو جـامع مـانع ، وألّـف أحد المستشرقين كتـاب اليمن من البـاب الخلفي ، وفيـه ما يكفي ويشفي ، وقد نظم الشعراء في اليمن إليـاذات ، وكتبت على القلوب من حبها أبيات ، ولهم في هذا القطـر مؤلفـات ومصـنفات ، ومن لطـف أهـل اليمن تسـميتهم لشجرة البن لأن فيها بناء مودات .

وتسـميتهم القـات ، لأنهـا تـذهب الأوقـات ، وتأكـل الأقوات .

واليمن مورد عذب ، وميدان رحب ، فـالقومي بـاليمن يفخر ، لأنها بلد الجد حمير ، والمـؤرخ يتشـجع ، لأنـه عـثر على موطن تبع ، وصاحب الآثار لـه من اليمن أمـداد ، لأن فيهـا إرم ذات العمـاد ، الـتي لم يخلـق مثلهـا في البلاد ، وحملة القرآن ، لهم ميل إلى تلـك الأوطـان ، لأن الإيمـان يمـــانِ ، فاحفـــظ أخبـــارهم ، وردد أشـــعارهم ، واكتب إنشاءهم ، ولا تبخس الناس أشياءهم .

واعلم أن اليمن أهـدت لسـليمان بلقيس بالكرسـي ، وقتلت الأسود العنسي ، وألبست العروبـة المنن ، بسـيف ذي يـزن ، حـتى زاره عبـد المطلب ، نيابـة عن العـرب ، فبشره بالنبي المرتقب ، وأعلى منـزله كما يجب .

وألفت اليمن في الأصـــول ، إرشـــاد الفحـــول ، وفي التفسير ، فتح القـدير ، وفي سـنة أبي القاسـم ، الـروض الباسـم ، وفي فن الطلب ، نيـل الأرب ، وفي الأحكـام ، سـبل السـلام، وفي فقـه الآثـار ، نيـل الأوطـار ، وتـاج العروس أصله من زبيد ، وعندهم كل عالم مفيد ، وشاعر مجيد . وقـد أغنـاهم اللـه بالحـديث عن فلسـفة اليونـان ، وبالفقه عن كلام مبتدعة خراسان ، وبالتفسير عن خيالات فارس وملكهم ساسـان ، وهم من أكـثر العبـاد خشـوعاً ، ومن أغــزرهم دموعــاً ، وليســوا بعبـاد درهم ، وليس من أرضــهم الجعــد بن درهم ، ولم يــدخل ديــارهم الجهم بن صـفوان ، بـل أهـدوا للسـنة طـاووس بن كيسـان ، وكـان العلم يطلب من أوطانهم سنينا ، وقد سـلموا من غلطـات الفارابي وابن سينا .

وللــه تــاريخهم مــا أحســنه ، لأن هنــاك لين القلــوب وصدق الألسنة ، وشـجرة مجـدهم لا تنبت إلا على الأنهـار الشرعية ، ولذلك اجتثـوا من بلادهم جرثومـة الشـيوعية ، لأنهم موحدون لا ملحدون ، فهم بلد الإيمـان والإنفـاق ، لا بلد الرفاق والنفاق ، فيا حمـام بلغهم منـا السـلام ، وقـل إلى الأمـام ، والصـلاة والسـلام على صـفوة الأنـام ، وآلـه وصحبه الكرام .

وقبل الوداع ، أطرق الاسماع بمقطوعة فاتنـة وأبيـات ساخنة لشـاعركم محمـد محمـود الزبـيري يخـاطب فيهـا اليمن يقول :

الشـــــاعرية في ... أنت الذي سويتها

مــألي بهــا جهــد ... ونشــــــرتها بين

أنت الذي بســناك ... وكتبتهـــــــا في

أبعـدتني عن امـة ... العــــالي فلـــو

ما قال قــومي آه ... وصهرت أحشـائي

عـــــــــذبتني ... الـنـاس هـذى آيـة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتُه

المقـامَــة المصريّـــة

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

يا مصر كل حـــديث كنت أحفظه ... نسيته عند أهل التل والـــــــــدارِ

جـرت دمـوعي على ... يا مصر كل الهـــوى

يا مصر ، أنتِ كوكبة العصر ، وكتيبة النصر ، وإيـــوان القصر ، أنتِ أم الحضــارة ، ورائــدة المهــارة ، ومنطلق الجدارة ، وبيت الإمارة ، ومقر السفارة ، ومهبط الــوزارة .

من أين نبدأ يا مصر الكلام ، وكيف نلقي عليكِ السلام ، قبل وقفة الاحـترام ، لأن في عينيــكِ الأيــام ، والأعلام ، والأقلام ، والأعوام .

يا مصر أنتِ صاحبة القبول والجاه ، كم من قلب فيكِ شجاه ما شجاه ، ونحن جئنا ببضاعة مزجاة .

سـارت إلى مصر ... وهلَّ دمعي فصــــرت

وفي ضلوعـي ... ومصـر غايـة آمـــالي

يا ركب المحـــــــبين أينما حللتم وارتحلتم ، وذهبتم وأقبلتم ، اهبطوا مصر فإن لكم ما سـألتم . يا أرض العز ، يا قاهرة المعز ، يا بلاد العِلم والقطن والبز .

ســلام عليــكِ يا أرض النيل ، ويا أم الجيل ، الحب لك أرض والجمال سقف ، والمجد لــكِ وقف ، ويا داخل مصر منك ألف ، ما أحسن الجفن والجيد والكف ، التقى الطيب والكـافور في مصر ، لما التقى أبو الطيب وكـافور في القصر ، قبل أن يدخل جوهر الصقلي مصر كان عبــداً مملوكاً ، فلما دخلها صار يحكم ملوكاً .

أرضٍ إذا ما جئتهاٍ
في مجٍنة ردتكٍ المقامَة
وإذا دهـــــاك الهمٍ
فـــدخلتهاٍ صـــافحتٍ

قـل للأخيـار المكـرمين ، الوافـدين إليهـا مغـرمين ، والقـادمين عليهـا مسـلمين ، ادخلـوا مصـر إن شـاء اللـه آمنين .

في مصـــر تعـــانقت القلـــوب ، وتصـــافح المحب والمحبـوب ، والتقى يوسـف بيعقـوبٍ ، فصـفق الـدهر ليوسف منشداً ، وغنى الزمان له مغرّداً ، وخروا له سجداً .

في مصر ترعرع الشعر ، وسال القلم البليغ بالسحر ، فكان الفضاء لكتـاب مصـر صـفحة بيضـاء ، يكتب كـل مـا يشاء ، فصـارت العقـول في ذهـول ، من روعـة المنقـول والمعقول ، وأذعنت القلوب في قبـول ، تـرحب بالشـاعر المصقع ، والقلم المبدع ، والرأي المقنع .

دخلنا مصر وكل الأرض
والأشـــواق تتلى أنســـام وطـــلُ

في مصـر القافيـة السـائرة ، والجملـة السـاحرة ، والمقالة الآسرة ، والفكرة العـاطرة ، عـالم من الجنـود ، والبنود ، والوفود .

دنيـا للقـادة ، والسـادة أهـل الإفـادة ، والإجـادة ، والرفـادة ، ديـوان للكتـاب ، والحسـاب ، والأصـحاب ، والأحباب .

محـــرابٍ للعبـــاد ، والزهـــاد ، والأمجـــاد ، والـــرواد ، علمـاء ،وحكمـاء ، وكرمـاء ، وحلمـاء وشـعراء ، وأدبـاء ، وأطباء ، وخطباء ، ونجباء ، وأذكيـاء ، وأوليـاء ، وأصـفياء ، وأوفياء .

هنا الـدهر يكتب من ذكرياتـه فنونـاً ، هنـا التـأريخ يبث من صدره شجوناً ، هنا الجمال يسكب من إنائه فنوناً ، هنا خطـا الزمـان تتسـارع ، والحضـارات تتصـارع ، والأهـرام تقص علينـا خـبر الأيـام ، وأحـاديث الأقـوام ، ومـا فعلتـه الأعوام :

أين الذي الهَرَمــان من بنيانه **ما يومه ما ذِكْره ما المصـــــــــــرعُ**

هنا سـحق الطغيـان ، ومـزق جنـود الشـيطان ، ودمـر فرعــون وهامــان ، وأحــرقت وثيقــة الــزور والبهتــان ، وارتفعت ملة الرحمان .

هنا عمرو بن العاص ، رحب به العوام والخواص ، وفر الظلم في قدومه وغاص ، هنا تكتب الـدموع على الخـدود رسائل الأموات إلى الأحياء ، وخطاب الأرض المفتوح إلى السماء ، وهنا تلتقي الظلمـاء والضـياء ، والظمـأ والمـاء ، والصـفاء والوفـاء ، ويتعـانق الضـحك والبكـاء ، والفـراق واللقـاء ، لتصـبح الحيـاة في مصـر مهرجانـاً لآلاف الصـور والمشــاهد ، والــذكريات مســاجد ، ومعابــد ، ومعاهــد ، وجامعات ، وكليات ، وشركات ، وأمسيات ، ومحاضرات ، وندوات ، ولقاءات ، ومحاورات ، ومعاهدات .

دار هي الأرض إلا
فيها الزمــــان وفيها
تجمّــع الــدهر فيٍ
والغيث داعبها والنهر

صباح الخير يا أرض الكنانة ، وناصرة الديانة ، وحاملـة التأريخ بأمانة ، وحافظة عهد الإسلام في صـيانة ، وراعيـة الجمال في رزانـة . أدب خلاّب ، وجمـال سـلاّب ، وسـحر جذّاب ، وذكاء وثّـاب ، وظـل مسـتطاب ، وأمـانٍ عـذاب ، نهـر يتـدفّق ، وحسـن يترقّــق ، ودمـوع تـترقرق ، وزهـور تتفتق ، وأكمام تتشقق ، ومقاصـد تتحقـق ، وجـد الإسـلام فيكم يـا أهـل مصـر أعيـادَه ، كنتم يـوم الفتـوح أجنـاده ،

وكنتم مــدده عــام الرمــادة ، وأحــرقتم العــدوان الثلاثي وأسياده ، وحطمتم خط بارليف وعتاده ، وكنتم يوم العبور آسـاده وقـواده . فتفضـلوا الشـكر والإشـادة ، وخـذوا من القلب حبه ووداده :

ثمن المجد دم ... فاسـألوا كيف

منكم أمير الشعراء ، وكبير البلغاء ، وشيخ الفصـحاء ، وسيد الخطباء ، وأسـتاذ النجبـاء ، وأكـبر الأطبـاء . يسـلك العقل في مصر سـبيله ، ويحفـظ الفـؤاد من مصـر نيلـه ، وتعيد الذاكرة في مصر قصة ألف ليلة وليلة .

في مصر لطف الهواء ، وطيب الغذاء ، ونفـع الـدواء ، وصفاء الماء .

النيل مـــائي وفي ... يشـــجي من الحب
أرض الكنانة ما ... والأشـــواق تـــزدانُ
فيها الحضـــــارة ... علم وفهم وإسـلام

سـلام على مصـر في الآخـرين ، لأنهـا كـانت خزانــة المسلمين ، ومـدد المجاهـدين ، وسـلة الخـبز للجـائعين ، ومقبرة المستعمرين ، أهلك الله أعـداءها ثم قـال : ﴿ فَمَـا بَكَتْ عَلَيْهِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ .

بوركتِ يا أرض السنابل ، ويا روض الجداول ، ويـا بلاد الخمائـل ، لـكِ في قلوبنـا من الحب رسـائل ، ومن الـود مسائل :

من لقلب حل جرعاء
ضـــاع مـــني هل له ردّ
فاسألـوا سكان مصر
حل فيهم فليعد طوعـاً

للــه أنت يــا مصــر ، بَنُــوك أهــل ســعة في الحفــظ ، وفصـــاحة في اللفـــظ ، منهم ســـادات القـــرّاء ، وأئمـــة الفقهاء .

إذا قـــرأ منهم القـــاريء كلام البـــاري ، تكـــاد تميـــد السواري ، وينسكب مع ندى صوته الدمع الجاري .

وإذا خطب فيهم الخطيب ، بـــــــذاك الكلام العجيب ، سمعت البكاء والنحيب .

مصــر بلــد الحــديث المحبّــر ، والحــرف المســطر ، والروض المعطر .

ســقاها اللــه الغيث المــدرار ، وحماهــا من الأخطــار ، وصانها من لوثة الأشرار .

المقامَة الدمشقية

((ودمع لا يكفكف يا دمشق))

قمر دمشقي يسافر في دمي ... وسنابل وخمائل وقباب
الحب يبدؤ من دمشق فأهله ... عشقوا الجمال وذوبوه وذابوا
والماء يبدؤ من ... أسْنَدتَ رأسك جدول

السلامُ عليك يا أرض شيخ الإسلام ، ورحمة الملك العلاَّم ، أيها الحضور الكرام ، في دمشق الشام .

يا دمشق ماذا تكتب الأقلام ، وكيف يرتب الكلام ، وماذا نقول في البداية والختام.

في دمشق الذكريات العلمية ، والوقفات الإسلامية ، والمآثر الأمويّة . وفيها يرقد ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية . وفي دمشق حلقات الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية .

يحق لحسان أن ينوح على تلك الأوطان ، ويسكب عليها الأشجان .

لله در عصابة نادمتهم ... يوماً يحلق في الزمان الأول
أبناء جفنة حول قبر ... قبر ابن مارية

تذكرك دمشق بمعاوية بن أبي سفيان ، وعبد الملك بن مروان ، وبني غسان ، والشعر والبيان ، والمجالس الحسان . دمشق سماء زرقاء ، وروضة خضراء ، وقصيدة عصماء ، وظل وماء ، وعلو وسناء ، وهمة شماء . ما أبقى لنا الشوق بقية ، لما سمعنا تلك القصيدة الشوقية ، في الروابي الدمشقية .

سلام من صبا بردى أرق ... ودمع لا يكفكف يا دمشق
ومعذرة اليراعة والقوافي ... جلال الرزء عن وصف يدق

في دمشـــق أكبـــاد تخفـــق ، وأوراق تصـــفق ، ونهـــر يتدفق ، ودمع يترقرق ، وزهر يتشقق

دخلنـــا دمشـــق فـــاتحين ، وصـــعدنا رباهـــا مســـبحين . فدمشـــق في ضـــمائرنا كـــل حين . وهي غنيـــة عن مـــدح المادحين . ولا يضرها قدح القادحين .

آه يا دمشـق كم في ثـراك من عابـد ، كم في جوفـك من زاهد ، كم في بطنك من مجاهـد ، كم في حشـاك من ساجد . أنت يا دمشق سفر خلود ، وبيت جود ، منـك تهب الجنـــود ، وتحمـــل البنـــود . يصـــنع على ثـــراك الأحـــرار ، ويسحق على ترابك الاستعمار ، ويحبك يا دمشق الأخيار . فـأنت نعم الـدار . تقطـع إليـك من القلـوب التـذاكر ، من زارك عاد وهو شـاكر ، ولأيامـك ذاكـر ، يكفيـك تـاريخ ابن عساكر ، صانك الله من كل كافر

ألقيت فـــوق ثـــراك   فيـــا دمشـــق لمـــاذا
الطـــــاهر الهـــــدبا   نكــــــــــــــثر العتبا
دِمشــــق يـــــا كنـــــز   إشـــكو العروبـــة أم

في دمشـــق روضـــة العلمـــاء ، وزهـــد الأوليـــاء ، وســـحر الشعراء ، وحكمة أبي الدرداء ، وجفان الكرماء .

في دمشـــق عمـــر بن عبـــد العزيـــز الخليفـــة الراشـــد ، والملك الزاهد ، والولي العابد ، يطارد الظلم والظالمين ، ويحارب الإثم والآثمين ، فيذكر الناس بالخلفاء الراشدين ، ويعيـد للإسـلام جمالـه في عيـون النـاظرين . في دمشـق براعة ابن كثـير ، وعبقريـة ابن الأثـير ، وتحقيـق النـووي ، وفطنة ابن عبد القوي .

لولا دمشق لما كانت   ولا زهت ببــــــــــني
يلنســـــــــــــــية   العبـــــاس بغـــــدان
أتى يصـــفق يلقانـــا   كمـــــا تلقـــــاك دون

يكفيك أيها الشام السـعيد ، أن فيـك القائـد الفريـد ، والبطل السـديد ، خالـد بن الوليـد . سـيف اللـه الهمـام ، كاسر كل حسام ، أغمد في الشام ، السـلام عليـك يـا أبـا سليمان ، يا قائد كتيبة الإيمان ، ويا رمز كتيبة الرحمن .

يـــــا ابن الوليــــــد الأســــــيف تناولنا   **فــإن أســيافنا قــد أصــــبحت خشــــبا**
لا تخـبروه رجـاءً عن   **فيمتلئ قـــــبرُهُ منّ**

صحح الألباني ، المحدث الربـاني ، أحـاديث في فضـل تلك المغاني .

وأول أبيات في الأغاني ، لأبي الفـرج الأصـبهاني . في وصف دمشق وتلك المباني .

حيث يقول الشاعر :

القصـــــر والبــــئر   **أشـــهى إلى النفس**

وقد نسى ابن كثير نفسه ، وملأ بالمـدح طرسـه ، لمـا تحدث عن دمشق ، فقلمه بالثناء سبق ، وبالإطراء دفـق ، وحار الحكماء في وصف دمشـق وطيب هوائهـا ، وعذوبـة مائها ، واعتدال أجوائها ، وذكاء علمائها ، وبلاغة خطبائها ، وتقدم شعرائها ، وعدل أمرائها ، وجمال نسائها ، حـتى إن بعض العلماء ذكر أن دمشق أم البلـدان ، وأنهـا في الـدنيا جنة الجنان .

دمشــق الشــام كــل حـــــــــديث ركب   **يقصر عنـك يـا نـون العيـــــــــــونِ**
كأنــك جنــة عرضــت   **أثـــرت على هـــوى**

دخل دمشق الصـحابة ، كـأنهم وبـل سـحابة ، أو أسـد غابة ، فلقيتهم بالأحضان ، وفرشت لهم الأجفان ، فعاشوا على روابيهــا كالتيجــان . في دمشـــق فنـــون وشـــجون ، وعيون ومتون ، وسهول وحزون ، وتين وزيتـون . دمشـق جديدة كل يوم ، وهي حسناء في أعين القـوم ، وقـد بكى من فراقها ملك الروم . إذا دخلت دمشـق تتمايـل أمامـك الســنابل ، وتــتراقص في ناظريــك الخمائــل . وتصــفق لقــدومك الجــداول ، وتــرحب بطلعتــك القبائــل . دمشــق أعيادهــا يوميّــه ، وأعلامهــا أمويّــة ، وأطيافهــا ســماوية ، وبسيوف أهلها محميّة

دمشق في الحسن مفرطة ، وبجواهر الجمال مقرطة ، وفي الطقس متوسطة .

فارقتهـــا وطيـــور ... بكــــــــل لحن من
القـــــاع تتبعـــــني ... الفصـــحا تغنيـــني
كأنمـا الطـير يهـوى ... ـانت دمشــق فـا

الجمـال دمشـقي : لأنـه لا بـد لـه من روضـة فيحـاء ، وخميلة غناء ، وحبة خضراء ، وظل وماء . والحب دمشقي : لأنه لا بد له من أشـواق مسـعفة ، وأحاسـيس مرهفـة ، وألمعية ومعرفة .

كتب ابن عساكر في دمشـق تـاريخ الرجـال ، وسـطر المـزي في دمشــق تهـذيب الكمـال، وألــف الـذهبي في دمشق ميزان الاعتدال ، واحتسـب ابن تيميـه في دمشــق الرد على أهل الضلال ، وأرسل لنا المتنبئ من الشام تلك القصائد الطوال ، وذاك السحر الحلال .

قــالوا تريــد الشــام ... قلـــــــبي بنت في
قلت الشـــــام في ... داخلي أعلاما
هي جنة الـدنيا فـإن ... فالحســـن محبـــوب

في دمشـــق رســائل الياســمين ، ودفــاتر اليقطين ، ومؤلفـات النسـرين ، للحمـام بهـا رنين ، وللعنـدليب بهـا حنين ، كأنها تقول : ادخلوها بسلام آمنين .

ليس لدمشــق الشــام ، دين غــير الإسـلام . فطــرت دمشق على الإيمـان ، ولـذلك طـردت الرومـان ، ورحبت بحملـة القـرآن . ليس بقيصـر الـروم في دمشــق قـرار ، ولذلك ولى الأدبار، ولاذ بـالفرار ، لأن الـدار دار المختـار ، والمهاجرين والأنصار .

من مخـــبر القـــوم ... أني رجعت إلى
شـطت دارهم ونـأت ... أهلي وأوطــــــاني
بالشام أهلي وبغـداد ... بــــــــالرقمتين

في الشـام يرقـد سـيف الدولـة الملـك الهمـام ، وابن نباته خطيب الأنام ، وابن قدامة تاج الأعلام ، وأبـو فـراس الحمداني الشاعر المقـدام . وفي دمشـق سـكن الزهـري المحدث الشهير ، والأوزاعي العـالم النحريـر ، والـبرزاني المؤرخ الكبير ، والسبكي القاضي الخطير .

أتانا من دمشق كتاب رياض الصالحين ، وكتاب روضة المحبين ، ونزهـة المشـتاقين ، وكتـاب عمـدة الطـالبين ، وكتاب مدارج السالكين ، وكتاب أعلام الموقعين .

فسلام على دمشـق في الآخـرين .

المقـامَــــة الـبغـداديَّــــة

((من لم يدخل بغــداد لم يدخل الدنيــا))

لبغداد العراق دموع صبٍ **على عرصـاتها ذبنـا غراما**

اجتمــع أربعــة أدبــاء ، نجبــاء خطبــاء ، فتعاهــدوا ، وتعاقدوا ، وتواعدوا ، على أن يصفوا بغداد ، دار الأمجـاد ، وبيت الأجواد ، وكوكبة البلاد .

فالأول : عليه وصف علمائها ، وفقهائها .

والثاني : يصف خلفاءها وأمراءها .

والثالث : يصف شعراءها وأدباءها .

والرابع : يصف أرضها ، وسماءها ، وماءها ، وهواءها ، وبهاءها .

فبــدأ الأول ويُــدعى أبــا قتــادة ، وهــو صــاحب ذكــاء وإجادة ، وعلم وإفادة .

فقال : والله لـو كتبت بـدمع العيـون ، على صـفحات الجفون ، ما أنصفت بغداد على مداد القرون ، لكن سوف أصف ما كان فيها من علم وعلماء ،بلغ مجدهم الجوزاء :

مـا الـدار بعـدَك يـا
تفـنى عليـك صـباباتي
أنت المـنى وحـديث
من أين ابـدأ يـا بغـداد

ولكن أقول ، بعد الصلاة والسلام على الرسول : اعلم أن من بغداد أشرقت شمس الرواية ، وبزغ فجر الدراية ، كانت في العلوم آية ، وفي الفنون غايـة . فكـان بهـا أهـل الحديث ، ولم يكن بها بعثيّ خبيث .

ولك أن تتخيل مجلس أحمد بن حنبل ، عمـائم بيضاء ، وهمة قعساء ، وسـكينة وحيـاء . إذا قـال

أحمــد : حــدثنا أو أخبرنــا ، أطــرقت الــرؤوس ، وخشـعت النفـوس ، وتفتحت أبـواب السـموات ، وتنـزلت الرحمات :

ســقوني وقــالوا لا

جِبال سلمى ما سُـقِيتُ

ثم تــذهب إلى مجلس فيــه طائفــة من الخاشــعين ، فتجـد وسـطهم يحـيى بن معين ، يحـدث عن رسـول رب العالمين ، يجرّح ويُعـدّل ، ويُجْمِـل ويُفصَّـل ، كأنـه مـيزان منـزل .

لـو حـل خـاطره في

أو ميت لصحا أو أخرس

وللــه كم من ذكريـات تشـجيني ، إذا ذكـرت علي بن المديني ، ذاك البطل ، إمام العلـل ، السـليم من الزلـل ، فـتراه يفتش الأسـانيد ، وينخـل المسـانيد ، بفهم دقيـق ، وعلم وتحقيق ، يعرف العلة في المسند المسـتقيم ، كمـا يعرف الطبيبُ السقيم .

بـــرأيٍ مثـــل ضـــوء

كأن بريقه حد الحســامِ

ولا تنس البخاري ، الضياء السـاري ، والنهـر الجـاري ، قيد الألفاظ ، وأفحم الحفـاظ إن شـك في حـديث علقـه ، وإن طال متنه فَرّقه ، وإن لقي كاذباً مزّقـه ، هـو السـيف الحاسم لسـنة أبي القاسـم ، اقـرأ تبويبـه ، افهم ترتيبـه ، لترى كل عجيبة .

من كالبخـاري إذا مـا

أو بــوّب البــاب أو شــدَّ

كأنمـــا هـــو إلهـــام

أو أنّـــه قبس يعطــــاه

بغـــداد تشـــرفت بالســـفيانين الثـــوري وابن عيينـــة ، وأصـبحت بالعلمـاء أجمـل مدينـة ، وهي مدينـة الكـرخي معروف ، والإمام الشافعي المعروف .

من بغـداد أصـحاب الصـحاح والسـنن ، وأهـل الـذكاء والفطن . وهي للحديث دار الضرب والصـلب بهـا تضـرب الموضـــوعات للوضـــاعين ، ولكن تصـــلب الكـــذّابين على خشـب السـلطان المـتين . قـال بعضـهم : من لم يـدخل بغداد لم يدخل الحيـاة الـدنيا، ومن لم يشـاهد حسـنها مـا شاهد النجوم العليا .

فقام الثاني يصف الخلفاء والأمـراء ، الـذين ملـؤوا الدنيا بالعطاء والسخاء .

فقال : هذه مدينة السـفاح ، الـذي خضـب السـيوف والرماح ، وكان لكل مجرم بطاح ، ولكل عدو نطاح .

هذه مدينة المنصور ، صاحب الدور والقصور ، الداهية الجسور ، والأسد الهصور .

هذه مدينة الرشيد ، صاحب القصر المشـيد ، والمجـد الفريد ، والصيت البعيد .

هذه مدينة المأمون ، صاحب الفنون ، وجامع المتون ، ولكنه بالفلسفة مفتون .

هذه مدينة المعتصم المغوار ، الذي أوطأ الخيل الكفار ، وأورد نحورهم كل بتار .

بغـــداد أنت حـــديث
إذا مدحتك سال السحر

أنت المـــــــنى أنت
كم من رشـيد ومـأمون

ثم قام الثالث يصف الأدباء ، ويثني على الخطباء .

فقال : في بغـداد أكـبر نـاد ، للشـعراء الأجـواد ، إذا شرب الشاعر من ماء الفـرات ، أتى بـالمعجزات ، وخلب

الألباب بالأبيات ، سَمِّ لي شاعراً ما دخل بغـداد، اذكـر لي أديباً ما تشرف بتلك البلاد :

بغداد يا فتنة الشـرق

بســــحرها العقــــل

ماذا أردد يا بغداد من

إذا ذكرتـــــك بعت الهم المقامَة

من بغـداد أبـو تمـام ، والبحـتري الهمـام ، وتـرنح بهـا المتنبئ بعض عام .

سجل بها ابن الرومي رواياته ، وأبدع إلياذاتــه ، وأروع أبياته .

وفي بغــداد أبــو العتاهيــة ، الشــاعر الداهيــة ، منــذر القلوب اللاهية، وصاحب الرسائل الباهية ، الآمرة الناهية . وهي أرض بشار ، ناسج أجمل الأشعار .

من بغـداد انطلقت في البحــار والــبراري ، رائعــة ابن الأنباري : علو في الحياة وفي الممات . من بغداد اســتمع الدهر في عجبْ ، لدويّ : السيف أصدق أنباء من الكتبْ .

بغـداد مهرجـان أدبي كبـير ، لكـل أديب نحريـر ، فيهـا شعر ونثر ، وحصباء ودر ، وصديق وزنديق ، وحر ورقيق ، وموحد وملحد ، وحانوت ومسجد ، وبارة ومعبد ، ومقــبرة ومشهد ، جد وهزل ، وحب وغـزل ، كـأن التـاريخ كلـه في بغداد اجتمـع، وكـأن الـدهر لصـوتها يسـتمع . وكـأن ضـوء الشمس من بغداد يرتفع .

مصيبة بغداد الحكام الأقزام ، من عينة صدام ، أبطال الشنق والإعدام .

فقام الرابع فقال : كـأن الأرض أخـذت من بغـداد جمالها ، أفدي بنفسي سـهلها وجبالهـا ، دجلـة لـه خريـر ، والفرات له هدير ، والنسيم به له زئير ، كأن الهواء ســرق من المسك أريجه ، وكأن الماء أخذ من العاشق نشــيجه .

تغار من زهر بغداد الزهراء ، وتحمر خجلاً من حسن بغداد وجنتي الحمراء .

كأن السحاب في سـماء بغـداد مـع الشـفق خضـاب ، وكأن بريق الفجر في مشـارف بغـداد ذهب مـذاب . كـأن وجـه بغـداد مشـرق ، قبـل ميشـيل عفلـق . فلمـا دخلهـا الرفاق ، وحزب النفاق ، كتب على بغداد الشقاء والإخفاق .

للـــه يـــا بغـــداد أنت
غنت بـــــك الأعصــــار

من لم يـــــــر ذاك
ضاعت عليه مـع المـدى

أظن بغداد أصابها عين ، أو دخلها لعين ، مـا لهـا قتلت المبدعين ، وطردت اللامعين.

ماذا أصابك يـا بغـداد
أليس كنت يقينـا قــرة

وأنا عاتب على بغـداد ، والعتاب لا يغـير الـوداد ، لأنـه جُلد بها أحمد ، وقُتل بها أحمد، وأُكرم بها أحمد . فجُلد بها أحمد بن حنبل ، الإمام المبجل، وقُتـل بهـا أحمـد بن نصـر الخزاعي ، الإمـام الـواعي ، وهـو إلى الحـق داعي ، وإلى البر ساعي، وأُكرم بها أحمـد بن أبي دؤاد ، داعيـة البدعـة والعناد ، والفتنة والفساد .

لكن بغداد لها حسنات يذهبن السيئات . ونهر الفــرات ودجلة يطهران من الحدث ، وإذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث .

المقـامَـــــة الـفـلسطـينيّـــة

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾

أطفـــــــال يافـا عمرو ولا سـعد ولا
يصـرخون وما لهم خطـــــــــابُ

زارنا رجل من فلســـطين ، فجلس على الطين ، قلنا اجلس على السرير .

قــال : كيف أجلس على الســرير ، والقــدس أســير ، بأيدي إخوان القردة والخنازير ؟

قلنا : فهل عندك من القدس خطاب ؟

قال : معي من القدس سؤال يريد الجواب .

قلنا : ما هو السؤال ؟

قال : ينادي أين الرجال ، أين أحفاد خالد وسـعد وبلال ؟ يا حفاظ سورة الأنفال، أين أبطـال القتـال ؟ أين أسـود النـزال ؟

قلنا : هؤلاء ماتوا من زمان ، وخلت منهم الأوطــان ، وخلف من بعــدهم خلف لهم همم ضــعيفة ، واهتمامــات سخيفة ، وأحلام خفيفة .

ثم سألنا حامل الرسالة ، أين أهل البسالة ؟ أين الإباء ؟ لماذا تغير الأبناء عن الآباء ؟

قلنا : الآبــاء كــانت بيــوتهم المســاجد ، ما بين راكع وساجد ، وخاشع وعابد ، وصائم ومجاهد .

والأبنــاء بيــوتهم المقــاهي ، ما بين مغن ولاهي ، ومن بماله يبـاهي ، ومن وقع في الـدواهي ، إلا من رحمه إلهي .

كنا أســـوداً ملـــوك

والآن أصـبح فـأر الـدار

ثم قلنا للرجل في عجل : ســلم على القــدس ، وقل : نفديك بالنفس ، متى العودة إلينا ، والسلام علينا ، قال : إذا عدتم إلى الله عدنا ، وإن بعدتم عنه بعدنا .

نســـاء فلســـطين وفي بيت لحم
تكحّلن بالأسى قاصــــرات وقُصّـــرُ
وليمون يافا يـابس وهل شـــــجر في

قلنا : لماذا عدت لعمر ؟ قـال : لأنه صـاحب أثر ، صادق في الخبر ،عادل في السير.

قلنا : ولماذا جئت مع صلاح الدين ؟ قــال : لأنه بطل حطين ، وولي لــــرب العــــالمين، وأحد العابــــدين المجاهدين .

قلنا : يا قـدس هل من لقـاء ؟ قـال : إذا أطعتم رب الأرض والسماء ، وأخلصتم في الدعاء ، وتدربتم على الجهاد صباح مساء ، وتبتم من كل معصية وفحشاء .

قلنا : كيف حالك الآن ؟ قال : في هموم وأحــزان ، وغمـوم وأشـجان ، سـجين في زنزانة الطغيـان ، بعد ما فارقت أهل الإيمان ، وحملة القرآن .

من حاله وهي في
مصـائب الـبين لا يـرثي

ثم قـال : أما تـرون خـدي شُـوّه بالنجمة السداسـيّة ، وداست على جبيني الدولة الإبليسية ، أين أحفـاد مصـعب بن عمـير ، ينقـذونا من أبنـاء جولـدا مـائير ، أين أمثـال عمر بن عبد العزيز ، يطلقونا من قبضة بـيريز ، أين عُبّـاد الديّان ، يمسحون عن جبيـني وشم ديّـان ، أين طلاب عبد الله بن مسـعود ، يطـردون إخـوان القـرود ، ويفكـون عن قدمي القيود .

أيا فلســـــــــطين قد
مـــــتى اللقـــــاء عسى
نعم أتينا وفي إيماننا
مسلولة تمطر الأهـوال

ثم قــالت : أنا القــدس الســليبة ، كنت إلى الرســول حبيبة ، ومن قلب كل مـــؤمن قريبـــة ، وأنا الآن في بلاء ومصيبة ، وأحوال عجيبة .

مــررت بالمســجد المحــزون أســأله … هل في المصــلى أو المحراب مروان

تغــــير المســـجد المحزون واختلفت … على المنابر أحـرار وعبـــــــــدان

فلا الأذان أذان في … من حيث يتلو ولا

فلسطين في قلوب المسـلمين ، تنـاديهم من سـنين ، وليس فيهم من قـــال : لبيك جئنا فـــاتحين ، لكنا تعبنا من محبة أهل الإرجاء ، تمدح وادعاء ، وفلسطين تصرخ صباح مساء.

إذا لم تكن هنا حمية إسلاميّة ، فأين النخوة العربية .

رب وامعتصمـــــاه انطلقت … مِلء أفواه الصـبايا اليتم

لامست أســماعهم لكنها … لم تلامس نخــــوة المعتصم

ألإســــــرائيل تعلو … في حمى المهد

لو ســمع عمر صــرخة طفل مجهــود ، أبــوه مفقــود ، وأخــوه في القيــود ، لجنَّد الجنــود ، ولــداس اليهــود . لو طرقت سمع المعتصم وا أمــاه ، لضــاقت أرضه وســماه ، ولقاد الكماة ، ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغــاة .

فلسطين تنادي حطين : هل عندك من صلاح الــدين ؟ فإنا يا أختاه في الحبس مرتهنين ، ولنا أنين .

وليمون يافا يابس في

وهل شــــجر في قبضة

رفيق صلاح الديـن هل

فـــــإن جيـــــوش البغي

رفاقك في الأغـــــوار

وجيشك في حِطين

خمســون عاما ، ونحن نــرى أيتاما ، ونشــاهد أيــامى ، ونبصر آلاما ، ثم نتعامى ، ولا يحرك فينا هذا كله إبهاما .
من أراد أن يطلق القـــــــدس من الأسر وأن يفكّه ، فليأخذ دستوره من مكّة ، القدس إسلامية ما تــرطن ، ولا تنتظر النصر من واشــــنطن ، القـــــدس تقلق ، إذا جئنـا بجيش فيه ميشيل عفلق . يحرر الأرض ، ويحمي العــرض ، من أدى الفرض ، وخاف يوم العرض .
دونك مليار مسلم آيسين بائسين ، أمام من قيل فيهم : كونوا قردة خاسئين .

مهلاً فـديت أبا تمـام
كيف احتفت بالعـــــدا
اليوم تسعون مليونــاً
نضـــــــجاً وقد عصر
وأطفــــأت شــــهب
وشمسنا وتحـدت نارها
تنسى الـــــرؤوس
إذا امتطاها إلى

ما يحـــرر فلســطين إلا طلاب العز بن عبد الســلام ، وتلاميذ عز الدين القسام .
افهمها بالمكشــــوف ، ما يحـــــرر فلســـطين طلاب سخاروف ، ولا يردها لأهلها أهل الـدفوف، إنما تعـود على أيدي من يصلي ويطوف ، ويجاهد في الصفوف .
يا شجر الغرقد ، جاء الموعد ، ليعود المسجد ، تحمي القــرود ، وتخبّئ اليهـود من الأسـود ، كل الشـجر بِوَادينا ، ينادينا ، إلا أنت تعادينا .
خمسون عاما مؤتمرات أو مـؤامرات ، ومشـاورات أو مشاجرات ، ومناورات أو مهاترات .

شجباً ونكـراً وتنديـداً

لله كم نددوا يوماً وكم

مـــاذا فعلنا غضـــبنا

تصــــدق وقد صـــدق

الكل يطــوف ، بمجلس الخــوف ، ونحن وقــوف في صفوف ، ننتظر ماذا يقول بوش وغورباتشوف .

خمســـون عامــــاً ما أخبرتنا هيئة الأمم ، بمن ظلم ، وهدم الحرم ، وخان في القسم .

يا معشر العرب : من أصابته مصــيبة ، فلم يأخذ الحل من طيبة ، عاد بالخيبة ، وكان الفشل نصيبه . فلسطين لا تعود بالكلام ، ولا بحفلات السلام ، ولكنها تعود بالحسـام ، وبضرب الهام ، وتمريغ الباطل بالرغام .

سيصـــغي لها من عالم الغيب ناصر **ولله أوس آخــرون وخزرجُ**

فلســطين إســلامية النسب ، وليست عربيَّة فحسب ، ولــذلك كــان صــلاح الــدين فــاتح القــدس من الأكــراد ، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجـواد ، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد :

بعها فـــــأنت لما **لك إِثمها ولها** **...**

لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين ، ولا عن طريق الوحدويين ، وإنما تعود تحت رايات الموحدين .

هل تظن أن اليهــودي العنيد ، والإســـرائيلي المريد ، سوف يطرد بمـؤتمر مدريـد، كلا وعـزةِ الحميد المجيد ، لا يزول إلا بكتائب التوحيد ، وأحفاد خالد بن الوليد .

يا فلســطين انتظــري كتائبنا مع الصــباح ، تنــادي حي على الفلاح ، ليعـــود الحق إلى أصـــحابه ، والســـيف إلى نصـــابه ، ولتعـــود الوديعة إلى واليها ، والطفلة إلى أبيها ، والـــدار إلى راعيها ، ويومئذ يفـــرح المؤمنـــون بنصر الله القريب ، إنه سميع مجيب .

فلسـطين غـاب سـلاطينها ، فـأفلس طينها ، لا يطـرد الغـــزاة من غـــزة إلا أهل العـــزة ، أطفـــال حيفا حفـــاة ،

واليهود جفاة ، فهل من يلبي النداء ، ويقدم روحه فداء، يا من أراد الجنة ، لا تتبع ما أنفقت بـــالأذى والمنّة ، ومـــاذا عليك لو قتلتك اليهود فأنت شهيد ، الـبيع قد جـرى ، والله اشـترى ، ما هبط سـوق القتـال ، وقل هيا إلى النــزال إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَـهُمْ وَأَمْـوَالَهُمْ بِـأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْـدًا عَلَيْـهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيـلِ وَالْقُـرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْـدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِـرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَـايَعْتُمْ بِـهِ وَذَلِـكَ هُـوَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ .

لا تهــيئ كفــني ما مت بعد   **لم يـــــــــزل في أضلاعي بـرق ورعد**

المقـامَـــــة الأنـدلـسـيّــــة

 كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (25) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (26) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ

جَـــــادَك الغيثُ إذا الغيثُ هَمَى   **يا زمـــانَ الوصــــلِ بالأنــــــــــدلسِ**

حــدثنا محمــود بن أنس ، قــال : لما دخلنا الأنــدلس ، وهي في ثياب الجمال تتبهرج ، ولسانها من الخجل يتلجلج ، قلنا : كيف الحال ، يا موطن الرجال ، أنتِ بلسم الفـؤاد ، وأرض الآبـاء والأجـداد ، ومهبَط جيش طـارق بن زيـاد ، فقالت : أهلاً بالأخوة من النسب ، أهل الكــرم والحسب ، وبيننا ســبب الإســلام أعظم ســبب ، ثم التفتنا إلى ثلاثة شـباب ، وقد ارتـدوا أجمل الثيـاب ، فقـام أحـدنا معرفـاً بأســمائهم ، ونســبهم إلى آبــائهم ، فقــال : **أما الأول :** فاسمه عبد الرحمن بن طارق بن زياد .

والثانـي : عبد الله بن موسى بن نصير .

والثالـث : عبد السلام بن عبد الرحمن الداخل .

فقلنا يا أبناء الأجواد ، وأحفاد الأسياد، حدثونا عن هـذه البلاد .

فقـال عبد الـرحمن : أما قـرأتم التـأريخ ، وما فيه من مدح وتوبيخ ، أما علمتم أن أجدادنا دخلوا الأندلس فاتحين ، مكـبرين مسـبحين ، عظمـوا الله في القلـوب ، فملّكهم الشعوب ، نشروا رضاه بالدماء ، فرفع رايتهم في السماء ، صـــدقوا في الديانة ، فشـــرفهم بحمل الأمانة ، نشـــروا العدل ، وطـردوا الجهل ، فهم كـالغيث على المحل ، فلما تخلف بعدهم جيل ، وضلوا السـبيل ، أصـبحوا في الـذيل ، ثم بكى وأنشد :

هل سألت الدهر عنا يـــــــــوم كنا | **كنجوم الليل للجوزا وصـــــــــلنا**

فقـــــام عبد الله ، فقـــــال : يا الله ، كيف كنا ، وكيف أصبحنا ، بعدما قصرنا في ديننا ما أفلحنا ، كانت المنائر تؤذن بدعوتنا ، والمنابر تضج بخطبتنا ، كنا بالإيمان سادة ، وللشـعوب قـادة ، لأننا أطعنا الـرحمن ، وحكّمنا القـرآن ، وحاربنا الشـيطان ، فلما قعـدنا عن الجهـاد ، وعصـينا رب العبـاد ، ووقعنا في الفسـاد ، صـرنا ما بين طريد وشـريد، وقتيل وفقيد ، ثم بكى وأنشد :

هـــذا جـــزاء أنـــاس
وقصـــــروا في أمـــور
كانوا شموســاً عيـون
لكنهم بعد طـول الـدهر

ثم قام عبد السـلام ، فانـدفع في الكلام ، وقـال : لما اتبعنا الأثر ، حكمنا البشر ، وبلغ مجــدنا القمر ، وفــرح بنا البـدو والحضر ، فلما وقعنا في الـترف ، وأدمنا السـرف ، ودعنا الشرف، وصرنا كالصّدف ، ثم أنشد :

يا رب هل من عـــودة
أرض فتحناها برسم
شِدْنا بها صرح العلوم

تاجاً لكل موحد مأمـون

قـال الـراوي محمـود : ثم دخلنا غرناطة ، والقلب قد هد نياطه ، فوجدناها قد كتب على بابها : السلام على من اتبع الهدى ، وأجاب الندا ، أنا غرناطة فاعرفوني ، سـلبت من أيـدي أهلي فـارحموني ، كنت مدينة العُبَّاد والزهـاد والأجـواد، فأصـبحت ملعب الأشـرار ، ومرتع الكفـار ، ومسـرح الفجـار ، فـرحم الله عبـداً تـرحم عليَّ ، وأهـدى ثواب حجه إليَّ ، فبكينا مما رأينا ، وكأنها تشكو إلينا .

ثم أتينا قرطبة ، وهي معبسة مقطبة ، فوجـدنا على باباها كتابة ، كأنها كتبت بالسبّابة ، فقرأنا فإذا هي تقـول ، يا أهل العقول ، أنا قرطبة دارٍ العلـوم ، سـلبني الظلـوم ، ونهبـنيٍ الغشـوم ، كنت داراً للعلمـاء ، وكعبة للحكمـاء ، ومزاراً للكرماء ، ومنـزلاً للعلمـاء ، واليـوم أصـبحت بـارة للخَمَّار ، وحانوتا للشَّـطار ، بعد أن كنت بيت الأبـرار ، وكهف الأخيار ، فوقفنا نبكي ، وإلى الله نشكي .

ونـادى منادينا ، وصـاح حادينا ، فقـال أين القـوم الفـاتحون ، أين الملأ الناصـحون ، أين صـقر قـريش ، أين قادة الجيش ، أين الناصر والزهراء ، أين الحاكم والحمراء ، أين المنـذر بن سـعيد ، صـاحب الـرأي السـديد ، والنهج الرشيد .

أين ابن عبد الـبر ، الـذي نشر العلم في البحر والـبر ، ونثر الجـوهر والـدر ، أين الاسـتذكار ، من أنفع الكتب في الآثار ، أين التمهيد الذي ما حمل مثله البريد .

أين ابن حزم ، صاحب العزم ، إمام الظـاهر ، صـاحب العلم البـاهر، والقلب الطـاهر ، صـاحب القـدح المعلّى ، ومؤلف المجلّى ، والمحلّى ، الـذي بلغ الإمامة ، وألف طوق الحمامة .

أين القرطبي صاحب التفسير ، أين الشـاطبي الإمـام الشـهير ، حامل الفكر المسـتنير ، أين ابن زيـدون ، وابن خلدون ، وابن عيذون ، وأهل الفنون ، ما لهم لا ينطقون .

أين رائعة :

أضحى التنائـي بديلاً

ونـــاب عن طيب لقيانا

أين السحر الحلال ، والروعة والجمال في :

جـــــــادك الغيث إذا

يا زمـــــان الوصل في

أين العويل والبكاء في أم الرثاء والقصيدة الغراء :

لكل شــيء إذا ما تم

فلا يغر بطيب العيش

أين لسان الدين الخطيب ، ومؤلف نفح الطيب ، وابن رشد الحفيد ، الــذكي الفريــد ، صــاحب بداية المجهتد ، ونهاية المقتصد . أين المنصــــور بن أبي عــــامر ، البطل المغامر ، صـاحب العـزم القـاهر . لله كم من علم جليل ، ورأي أصـيل ، ونسب نبيل ، ووجه جميل ، دفنـاه في هـذا الثرى ، وتركناه آية للورى .

هنا تركنا أكبادنا ، هنا دفنا أولادنا ، هنا قبرنا أجـــدادنا ، هنا دموعنا ســـفحت ، هنا دماؤنا ســـفكت ، هنا مرابع ســمرنا ، وهنا ديــار شمســنا وقمرنا . هنا طرحنا نفــوس الأبطال الأشداء ، في بلاط الشـهداء ، هنا أرواحنا خفاقة ، على قتلى معركة الزلاّقة .

ما كنا نظن أنَّا إلى هــذا الحــال نصــير ، بعد أمجـــاد موسى بن نصير . اسألوا الجبال والوهاد ، اسألوا كل ناد ، واستنطقوا كل واد ، عن كتائب طارق بن زياد .

إعندكم خبر عن أهل

فقد ســـرى بحــــديث

تلك الفجيعة أنست

وما لها في قديم الدهر

لمثل هـــذا يــــذوب

إن كــــــان في القلب

السـلام على كل أنـدلس في الآخـرين ، وجمعنا بأهلها من المسـلمين ، في جـوار رب العـالمين . هـذه أخبـار الأندلس : وسلامتكم .

المقـامَــة الأفغانـيّــــة

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾

تــأخرت اســتبقي لنفسي حيــاة مثل
الحيــــاة فلم أجد أن أتقــــــدما

لما دخلنا أفغانستان ، سألنا عن حدودها ، فقيل يحدها باكستان ، وطاجكستان ، وحولها بلوشستان ، وهي قريبــة من كردســتان ، وأســفل منهــا عربســتان ، ووراءهــا تركمانســـتان ، ووجـــدنا شـــباباً من قحطانســـتان ، وزهرانستان ، وشهرانستان ، وشمرانستان ، ولما وصـلتها وحدت جند الرمن ، وكتيبة الإيمان .

ووجـدنا المـوت يصـنع هنـا الحتـوف ، تعلنـه كـل وقت الكلاشـنكوف ، من شـركة إسلام أوف ، ليقتـل بهـا كـل ملحـــد أوف ، وملعـــون أوف ، من قائمـــة خرتشـــوف ، وغرباتشوف . فحيينا الأفغـان بقصـيدة شـعبية ، نيابـة عن الأمة العربية ، فقلت :

يا ســـلام الله لحكمة
وانعم يا سياف حضرة
قايد القـــوات فيهم
كم عــدو بــأرض كابل

فرد أحد العربان ، وليس أحد الأفغان ، فقال :

اللهب في المعركة
والعســـاكر كل واحد
كل جندي جاب مركب
يوم كل يتقي في

المقامَة

ويل لمن قاتل الأفغان ، أين عقله كيـف يمـازح الأسـد وهو غضبان ، الأفغاني يأتي المعركة كأنـه يـأتي العـرس ،

ويصــب دمــه كأنــه يســكب حــبراً على طــرس ، عنــق الباكستاني أربع أصابع ، لأن آخر من قتل من أجداده الجد السابع .

وعنــق الأفغـاني سـبع أصـابع ، لأنــه لا يمـوت إلا في المعركة بسيف قاطع .

الأفغــاني في الغــالب لا يســمع الأغــاني ، ولا تلهــه الغواني ، لأنه مشغول بالمثاني ، واستنباط المعاني .

وجدنا في أفغانستان رجالاً كالأسود ، وكتائب كالسدود ، أرضــهم للملاحــدة لحــود ، ورصاصــهم لبلادهم حــدود . الأفغاني قليـل الدعابـة ، ظـاهر المهابـة ، غزيـر النجابـة ، كأنه ليث غابة .

الأفغاني إذا غضب أحرق مزاجه ، ورمى علاجه ، وذبح الرجال كذبح الدجاجة .

أخرجت لنا شوارع سميرا ميس ، فاتنـات في الحريـر تميس ، وشباباً من أتباع انطون وجرجيس ، وأخرجت لنـا جبــال الكنــدوش ، تلــك الجيــوش ، فهــذا الأصــلي وذاك المغشـوش .كبّلت كابـل أعـداء الـدين ، وقهـرت قنـدهار الملحدين ، وأخرجت جلال أباد المجاهـدين . دخـل شـعب الأفغان الدين وأسـلم ، على يـد قتيبـة بن مسـلم ، وصـاح شاعر الأفغان ، محتجاً على الطغيان ، إذ يقول وهو يقاتـل في الميدان :

نــــامني نــــزام شــــــــرقيا   **نامني نزام غربيا**
حبيبيــا محمّــدا مصــــــطفى

ومعـنى أبياتـه أي أرفض النظـام الشـرقي ، والنظـام الغربي ، وأريد نظام حبيبي محمد صلى اللـه عليـه وسـلم المصطفى المجتبى .

العجم أهل مبالغة في الأحكام ، إذا قالوا لك عن أحــد هذا مولانا شيخ الإسلام ، وعالم الأنام ، فاعلم أنـه يحفـظ ثلاثة أحاديث من بلوغ المـرام ، وإذا قـالوا عن عابـد: هـذا

المقامة

بركة الزمان ، ونور الأكوان ، وولي الرحمن ، فاعلم أنه لا يزيد على صيام رمضان .

أبو إسماعيل الهروى الأنصـاري أفغـاني ، وهـو العـالم الربـاني ، وقـد أحيـا الشـاعر محمـد إقبـال الأفغـانِ ، في ديوانه المثاني . الأفغان شجعان ، في الليـل رهبـان، وفي النهار فرسان ، لو أن في أفغانستان ، طالب واحد لسلم من الخلاف الإخـــوان ، ولكن في أفغانســـتان ، طالبـــان اثنان .

قبـــل القتـــال كـــان في أفغانســـتان ، عابـــدان ، أي عابـدون ، وفي الحـرب جـاء مجاهـدان ، أي مجاهـدون ، وبعد الحرب ظهر طالبان ، أي طلبـة متعلمـون ، فهم في السلم عباد أولياء، وفي الحـرب مجاهـدون أشـداء ، وبعـد النصر علماء حكماء .

المثنى عند الأفغـان ، جمـع مـذكر سـالم عنـد العـرب أهل اللسان ، لأن واحدهم بعشرة في المـيزان ، تسـتورد الهنــد وباكســتان ، من أفغانســتان ، القــادة والزعمــاء ، وتصدران لها الرسّامين والشعراء ، الأفغـاني يفهم إشـارة العينين ، وبعض الناس لابد في إفهامه من حركة اليــدين ، والبعض لا يفهم إلا باليدين والرجلين .

احتـل أفغانسـتان الـروس ، فرجعـوا جثثـاً بلا رؤوس ، لأن عند الأفغان مثل : (اقطع من الوردة رأسـها ، واتـرك أساسها) .

الأفغاني تريد الإتمـام بـه وهـو يريـد القصـر ، قـل لـه أجمل الدنيا الشام، يقول لك أجمل منها مصر ، إذا وقفت جلس ، وإذا قمت نعس ، وإذا تثـــاءبت عطس ، وافـــق الأفغاني إلا في الحرام ، وأظهر له الحب والاحـترام ، يكن في يدك كالحسام ، وفي نصرتك كالغلام .

غضبُ بعضهم في بطنه ، إذا غضب أكل أكْل الدواب ، وغَضبُ البعض الآخر في لســـانه إذا غضـــب ملأ الـــدنيا بالسباب، وغضب الأفغـاني في يـده إذا غضـب حـوّل كـل شــيء إلى خــراب ، لا تكلم الأفغــاني وهــو غضــبان ، ولا تمازحه وهو تعبان ، ولا تصافحه وهو جوعان .

يا أيها الأفغان ، أطيعـوا الرحمـان ، سـوّوا صـفوفكم ، واغمدوا فيما بينكم سـيوفكم ، وسـدّوا الفُـرَجْ ، وانتظـروا من الله الفَرَج ، ولكم منا تحية إجلال ، على حسن الفعال ، ولن ننسـى لكم تلـك البطـولات ، وهـذه التضـحيات ، والحسنات يذهبن السيئات .

واعلمـوا أنَّ الوفـاق والاتفـاق ، هـو الطريـق لحمـل الميثاق .

وأن الافتراق ، هو باب الإخفاق .

المقـامَــة الأمـريـكانيــة

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

من بلادي يطلب العلم ولا　　**يطلب العلم من الغـــرب الغـــبي**

قال الراوي : يا عـائض ، دعنا من الـردود والنقـائض ، فإنا نـــرى الفجر وشـــيكا، فحـــدثنا عن أمريكا قلت: الله المستعان ، وهو عظيم الإحسان ، ممدوح بكل لسان .

لقد سافرنا قبل مدّة ، من أبها إلى جـدة ، في صـحبةٍ بالصـدق معروفـون ، وبـالخير موصـوفون ، فكنـا قرابـة العشرة ، قاصدين بلاد الكفرة ، فلما ودّعنا البلاد ، وحملنـا الـزاد والمـزاد ، أنشـد شـاعرنا بصـوت جميـل ، ودموعـه تسيل :

سقى الله أرضـاً لامس
وجميــــلها بالشـــيح
فــأنتِ الــتي أسكنـــتِ
وسحِـــرك في عيـــني

ثم مشينا مع الجموع السائرة ، حـتى ركبنـا الطـائرة ، فرأينـــا الكبتن، كـــأن خـــده لبتن، أحمـــر الوجنـــتين، أزرق العينين ، فلما طرنا مقلعين ، وسـافرنا مسـرعين ، قاربنـا السـحاب ، وللطـائرة أزيـز وانتحـاب ، فنظرنـا إلى القمـر المضـاء ، وطالعنـا كتـاب الفضـاء ، فبهرنـا ذاك الصـنيع ، والخلق البديع، من شمس تسـطع ، وقمـر يلمـع ، ونجـوم زواهر ، وبحار زواخر ، الأرض مكوّرة ، والسـماء مـدوّرة ، والكـون ليس عـاطلا ، فسـبحانك مـا خلقت هـذا بـاطلا وسمعت للركاب تصدية ومكاء ، قلت أين أنت يا بكاء :

اقرأ القــــــدرة في الكــــــــون البهيج　　**لا تكن يا صــــاحِ في أمر مــــــــــــريج**

فلما اقتربنا من تلك الولايـــات ، قرأنا بعض الآيـــات ، وأنشدنا شيئاً من الأبيات ، وهبطنا في مطار جون كندي ، ودثّرت من شدة الـبرد جسـدي ، وأصـبحنا من الـبرد في ثلاجة ، حين وصـــلنا ديـــار الخواجة ، وانتظرنا في صف عريض ، بين سود وبيض ، والجوّ من أفعال أولئك مــريض ، ثم سـمعنا أمريكيـاً يـرطن ، يقـول هيّا إلى واشـنطن ، فغادرنا المحل والسـكن، وركبنا مع شـركة بـان أمـركن ، فحززنا أجسامنا بالربـاط حـزّا، وهزتنا الطـائرة هـزّا ، لأن قائـدها أهـوج ، قلبه مثلّج ، فكل راكب بـالخوف مـدجّج ، فكأنها من الركـاب فاضـية ، ونـادى بعضـنا يا ليتها كـانت القاضية ، أما الأمريكـان ، فما كـأنّ شـيئاً كـان ، فهم في لهـوهم يضـحكون ، وإذا مـروا بنا يتغـامزون ، فما أدري ، والطــائرة تجــري، هل تعجبــوا من جزعنا ، وســخروا من فزعنا ، وأنكــــروا هلعنا ، فليتهم يعلمـــــون ، وعن غيّهم يرجعون ، أن أجدادنا نحن أهل الوجـوه الصـفراء ، والغـتر الحمــراء ، كـانوا بالتوحيد فـاتحين ، وعلى أمــواج البحــار سابحين ، قلوبهم مصـاحف ، وبيـوتهم للفضـائل متـاحف ، يحملون الأرواح على السراح ، إذا نادى المنادي : الســلاح السلاح ، أما علمتم أنا أتباع محمد، خير من تعبّد ، وصــام وتهجّد ، ومنّا الخلفـاء الأصـفياء ، الأوفيـاء الشـرفاء ، ومنّا العلماء الكرماء الحلماء ، والسادة أهل الإفادة ، والرفـادة والوفادة .

نحن حملة المحابر ، وأصحاب الدفاتر ، وروّاد المنابر ، فضحكوا ساخرين ، والتفتوا لقوم آخرين ، وقالوا قطعتكم الأماني ، وأشغلتكم الأغاني ، يا ضـرّابة العـود ، ويـا رعـاة القعــود ، ليلكم طــرب ، ونهـاركم لعب ، يـا بلاد الفنـانين والفنانــــات ، والمغــــنين والمغنيــــات ، الأحيـــــاء منهم والأموات ،.. قلنـا كـذبتم ورب المشـارق والمغـارب ، و لا يكتم الحـق إلا كـاذب ، أين أنتم يـوم فتحت لنـا السـماء ، وكتب تاريخَنـا الحكمـاء ، يـوم عشـنا في العـالم رحمـاء ، وحكمنا الدنيا حلماء ، وملأنا المعمورة علماء .

هل أشرق الفـجر إلا

وهل همى الغيث إلا
حـــتى النجـــوم على
والشــمس في حســنها المقامَة

فقالوا تلك أمة قد خلت ، وحقبة سـلفت ، وقد نـامت النعجة في مـــربض الأسد ، لما نســـيتم قل هو الله أحد ، أخذتم من الغرب قشوره ، وما صنعتم للعـالم طبشـورة ، وأخبار لعبكم ولهـوكم منشـورة ،.. قلنا فـاتكم الصـواب ، وأخطأتم في الجواب ، فأنتم الذين تركوا العالم هشــيماً ، أما دمرتم نجـزاكي وهيروشـيما ، أهلكتم النسل والذرية ، بالقنابل الذرية ، حكمتم بلا شــريعة ، وأحللتم المخالفـات الفظيعة ، ونشـــرتم كل عـــادة خليعة ، هجـــرتم الـــذكر ، ونســيتم الشــكر ، وأبحتم الســكر ،.. فقــال قائل منهم ، وتحــدث كــاتب عنهم ، فــذكر لنا صــناعتهم ، وشــرح لنا بضاعتهم ، وقال : أما ملأنا الـبر حـتى ضـاق عنّا ، وحكمنا البحر بقوة منّا ، أما صنعنا الطيارة ، أما هندسنا السيارة ، أما سـهلنا التلفـون ، ويســرنا التلفزيـون ، واســتفدنا من ذبذبات الأمزون ، أما صنعنا للعين زجاجة ، وللطعام ثلاجة ، وللطفل درّاجة ، ضخّمنا بالميكروسكوب الهباء ، وأضــأنا الليل بالكهربـاء، أجـدنا الـدفاع والهجـوم وبلغنا بـالاختراع النجوم ، هبطنا على القمـر، واكتشـفنا المـاس من الحجر ،..

قلنـــا رفضـــتم الإيمـــان ، وهجـــرتم القـــرآن ، وأطعتم الشيطان ، هدمتم المسـاجد ، وشـيدتم للفجـور المعابـد ، أنفقتم المليارات على البارات ، وعرضتم للناس الغانيات، وملأتم المــراقص بالمغنيــات ، المخمــور في شــوارعكم يخــور ، والكــأس على رؤوســكم تــدور ، الأبيض عنــدكم مقدس والأسود مقهور ، البنوك لديكم مرابية ، والأســواق في بلــــدكم لاهيـــة ، ومجالســـكم لاغيـــة ، ملحـــدون لا موحدون ، متفرقـون لا متحـدون ، ليس لـديكم إسـلام ولا صـلاة ولا صـيام ، ولا حلال ولا حـرام ، شـهواتكم وثَّابـة ، وألسنتكم كذابة ، كأنكم في غابة ، قتلت عنـدكم المبـادئ

في النوادي ، في كل يـوم وللرذيلـة لـديكم ألـف منـادي ، أين الاعتراف بالاقتراف ، أين الكفاف والعفاف ، غـارقون في المادة ومن الفضيلة أجلاف ، لا وضوء ولا طهارة ، ولا مسجد ولا منارة، بل أنتم أصحاب حانوت وخمّارة . للدماء سفكتم ، وللأعراض هتكتم .

تكـــاد تســـقط من
هـــذي الســـماء وتخبو
والجو يظلم مَما
ويح الحضـــــــــارة إذ ما المقامَة

.. فقـال دعنا من الأشـعار ، ولا تلصق بنا العـار ، فما يرتفع الدخان إلا من النار ، أما تشاهدون تقدمنا أما تـرون ، ما لكم لا تنظـرون ، غزونا المـريخ ، وأنتم تعيـدوننا إلى التـأريخ ، فمـاذا فعلتم في قـديم الزمـان ، تكلمـوا ولكم الأمان ،...

فقلنا : ســـبحان الملك القـــدوس ، ما أظلم هـــذه النفـــوس . أليس على أرضـــنا الـــوحي هبط ، وفي ديارنا غيث الرسالة سقط ، ومنا عرفت الهداية فقط .

أليس منّا الصـدّيق وعثمــان ، وعمر وثوبــان ، وعليّ وسـلمان، وبلال وحسّـان ، منّا خالد المقـدام ، والقعقـاع الصمصام ، ومنّا همّام ، وأبو تمام ، ومنّا أويس ، والأحنف بن قيس ، وأسماء بنت عميس .

أما صـــفق لقـــدومنا الفـــرات والنيل ، وهلل لطلعتنا مضـــيق الـــدردنيل ، نحن أســـاتذة الأكـــراد والتركمـــان ، ومعلمـــوا الإنجلـــيز والألمـــان ، أما انـــدهش من عبقريتنا شـــارلمان ، وبســـماحة الصّـــدّيق فتحنا الطريق ، بـــدرة الفــاروق ، أدبنا أهل العقــوق ، بصــدق أبي ذر، قلنا الحق وهو مـرّ ، منّا الرشـيد الـذي تحـدّى السـحاب ، وملك من طنجة إلى البنجــاب ، ومنّا المعتصم الـــذي فتح عمورية ، ونسخ الدولة الآشـــورية ، منّا الســـعدان والســـعيدان ، والسـفيانان ، والحمـادان ، ومنّا البخـاري ، وصـاحب فتح

البـاري ، ومؤلف لامع الـدراري ، وشـارح هـدي السـاري ، بعثنا للعــالم مبشــرين ، وخرجنا للنــاس ميســرين ، أذقنا العباد طعم الحرية ، وأعتقنا العالم من المنظمات السرية ، أذنّا في الحمــراء ، وصــلينا في الزهــراء ، ربطنا خيولنا على ضـفاف اللــوار [3] ، وسـجدنا على صـحراء سـنجار، وتلونا القرآن على جبال قندهار ، رفعنا الإيمـان في الهند ، ونشرنا المعرفة في السند ، أسرنا الجبابرة ثم أعتقناهم ، وملكنا الأكاسـرة ثم أطلقنـاهم ، نكبّر فتسـقط القلاع ، نؤذّن فتهتز التلاع ، نقرأ فتطـرق الأسـماع . لبسـنا الثيـاب المرقعة ، والأحذية المقطعة ، ففتحت لنا البلاد ، ورحب بنا العبـاد ليلنا قيـام، ونهارنا صـيام ، في الـدجى رهبـان، وفي الميدان فرسان ، على المنابر سادة ، وفي المعـارك قادة، ساوينا بين الأمـراء والفقـراء ، والحقـراء والكبراء ، أنصفنا الشاة من الذيب ، وعلّمنا الوحوش التهذيب .

نحن شـموس العلـوم ، ونجـوم الفهـوم ، ربطنا على بطوننا الحجارة من الجوع، وبللنا مواطن السجود بالدموع ، وكنّا في صلاتنا كالسواري من الخشوع .

نتوضأ فتتنــــاثر منّا الخطايا ، نغنم فتســـيل من أيادينا العطايا ، نرتل القرآن فتقف على أصـواتنا المطايا . نـادى منادينا ، على ســنة هادينا ، يا أيتها النفــوس من المــوت اشربي ، ويا خيل الله اركبي ، فجمّد الله لنا الماء ، وظلّل علينا الغمام في السماء .

منّا من اهتز لموتـه عـرش الـرحمن ، ومنّـا من كلّمـه اللــه بلا ترجمـان ، ومنّـا من غسّـلته الملائكـة يـوم التقى الجمعان ، لا نكـذب ولـو أنّ السـيوف على الـرؤوس ، ولا نسرق ولو أنّ الجوع يمزق النفـوس ، اسـمعوا مـاذا قـال كاتبكم ولـه منكم معجبـون ، أعـني جوسـتاف لوبـون مـا عرف العالم فاتحاً أعـدل من العـرب ، فهم أهـل الرحمـة والحلم والأدب ، واستشهِدوا الكتب :

نحن هل تـــــدري بنا

[3] (?) نهر في جنوب فرنسا .

قصــدنا جـــنّة مـــولانا

قد ملأنا الأرض عدلاً

وسِوانا في الورى عُجْرٌ

أمّا ما ذكــرت من تخلفنا هــذه الأيــام ، فهو لضــعف تمســكنا بالإســلام، ملأنا الكــروش وشــاهدنا الدشــوش ، وزينا الرموش ، وجمعنا القروش ، اشــتغلنا بالمراســلات ، وسهرنا مع المسلسلات ، فأصبحنا في الســلاّت المهملات ، والخانات الفارغات ، أحببنا الكرسي ، وعشقنا التبسي ، وأدمنا الببسي ، وتعلقنا بالتكسي ، نحن في الأســـــــواق أمواج ، وفي الشوارع أفواج ، أموالنا في شــراء الــدجاج ، وأوقاتنا ذهبت في الحراج ، لما اتخمنا بالعصيدة

ما أصــبحنا ننظم القصــيدة ، أصــبح طالبنا أبله ، لأنه عــــاش مع طه والطبلة ، حفظنا متن الـــتيس والتميس ، والكيس والكبيس ، أصبح نشاطنا بزفير وشهيق ، وتشجيع للفريــق ، وللبــواري هــدير ونهيق . لا يصــلي الفجر منّا إلا قلة ، ولا يحفظ القرآن إلا ثلة ، ونقول نحن أنصــار الملة . مع العلم أن الاهتمامات دلّة ، وفلّة ، وسلّة ، وشلّة .

كبارنا منهمكــون في القيل والقــال ، وحب المــال ، إلا من رحم ذو الجلال ، وشــــبابنا كالأطفـــــال في الروضة ، مشغولون بآخر موضة ، ولهم في الملعب ضــجيج وفوضة ، عقل أحدهم كأنه ريشة ، وسلوته السيجارة والشيشة :

رحمـــــاكِ فهلِ نحن

موج البحار بدين الواحد

فـــما دهـــانا رجعنا

أشك يا دهر في قومي

فوالذي زين الشــمس في ضــحاها ، وجمّــل القمــر إذا تلاها ، وحسن النهــار إذا جلاّهــا، مــا أصــابنا التخلــف، ومــا دهانا التوقف، إلا يــوم عصــينا رب العبــاد ، وتركنــا الجهــاد، وكثر فينا الفساد ، كان مؤذننا بلال ، وملعبنا ميدان القتــال

، وقصدنا ذو الجلال ، فمـا أصـبح لنـا طـول ولاحـول ، لأن همنا كمْ سجلنا من قول ، فيا للهول ، بالأمس كان شـبابنا بـالقرآن يفـرح ، وللسـنة يحفـظ ويشـرح ، واليـوم أصـبح يسرح ويمرح ، مع نجـوم الفن والمسـرح ، أمـا تنظـر إلى شعره إذا رصّه، وجعل له قَصَّة ، ثم مسح شفتيه بالمكياج ، ومشى وله ارتجاج ، فكيف لو رآه الحجّاج ، وما ترى لــو دُبِغ بكرباج .

لو أن للـــدهر عينـــاً

أو أن للصـــــخر قلبـــاً

أزروا بـــــأمتهم من

لأجلهم كم ســـــــألنا

.. فقــالوا لنا : الآن حصـحص الحق ، وبــان الفــرق ، وظهر الصــدق . فودّعنــاهم وكل واحد منهم كأنه فــارة ، وذهبنا للســـفارة ، ثم زرنا مكتبة الكــــونجرس ، وطرقنا الجـرس ، فما هو إلاّ وقت يسـير ، حـتى خـرج لنا خواجـةٌ يسـير ، قلنا له : جـدمورنج سـير ، فـدخلنا مكتبـةً هائلة ، أدراجها مائلة ، فيها كل الفنــون ، وملايين المتـــون، مما تبصرون وما لا تبصرون ، فناولونا هديةً في وعاءْ ، وقــالوا : لا تنسونا من الدعاء .

قلنا : اللهم أحصـهم عـددا ، واقتلهم بـددا ، ولا تغـادر منهم أحـدا ، لأنك لو علمت ما صـنع الأمريكـان ، لاهـتزت منك الأركـــان ، فهي أم إســـرائيل ، وبيت كل داء وبيل ، يسـتعيذ منها أبرهة صـاحب الفيل ، ناصـرت اليهـود ، ولم تعــترف بالحــدود ، وما ردعتها القيـــود ، أمريكا أفتك من هتلر وتيتو ، خدعت العالم بـالفيتو ، من أطاعها فهو خـادم مهين ومن عصـاها فهو شـيطان لعين ، تنظر إلى الأيتـام وهم يُنقلـون ، وتشـاهد اللاجـئين وهم يُقتلـون ، ولا تُسـأل عما تفعل وهم يسألون ، غيرها من خيرها محــروم ، وهي ظالم في ثوب مظلوم ، تريد أن تكون المنتصـرة والعـالم مهزوم ، ولكن لها يوم .

ليت الـــــبراكين في أرجائها رقصت	والرعد يا ليته في أرضها خطبا
وليت أن صـــــــدى	حتى تصير على أطلالها

الله يمزق سداها ، وينصر عليها عداها ، ويقصر مـداها ، ويظهر رداها ، الله يُخليها من ســــــكانها ، ويقتلعها من مكانها ، ويزلزلها من أركانها ، فهي أم الكبــــائر ، وجالبة الخسائر ادعوا عليها في السـجود ، عسى الله أن يلحقها بعادٍ وثمود .

ثم قلنا من بحر الرجز ، بعد أن كَلّ الفؤاد وعجز :

يقــــولُ عــــائض هو	**أحمدُ ربي وهو لي**
مصلّياً على رســـولٍ	**مذكراً بالله كل لاهــي**
قد جئت من أبها	**مشـــــــاركاً لحفلكم**
وحملتنا في الســماء	**تطفح تـــارةً وتهـــوي**
قائدهـا أظنـه	**تـــــــراه فـي هيئتـه**
يـا سائل الأخبـار عـن	**اسـمع رعـاك الله من**
وهــذه أخبـــار هــذي	**مسـافة السـير ثـــلاث**
من الريـاض عفشـــنا	**وفي نيويـورك ضـحى**
أنزلنـا في ســــرعة	**ثم قصدنـا بعدهـا**

المقامة

ثم ركبنــا بعدهــا
مســـــــــتقبلين جهة
منزلنـا في القصر
يا كم لقينا من قـــبيح
فـيِ بلد أفكـــــــاره
تثقله بصـــــــــــائر
يقدســـــــون الكلـب
ويبصـــرون غـــيرهم
ما عرفـــــــوا الله
وما أعــــدوا لقيـــام
فِهـم قطيـع
جــد وهــزل وضيـــاع
منهـم أخذنـا العـــود
وما عرفنـا نصنـع
استيـقظـــــوا بالجـد
وبلغـوا الفضـــاء يـــوم
وبِعد ذا زرنـا مبــــاني
فلم نجـد مســتقبلاً إلا
الحـــــــــــــــرس
المقامَة
فيهـا ملايين حـــوت
فَي كـل فـن إنه من
ومعنـا في صحبنـا
أكـــــرم بـه مـع العـلا
وقد صــحبت شــيخنا
قـد صـرت في صـحبته

وصـالح المنصــور من
يشبـه سعـــــــداً وأبـا
وافقت فيـــهم فالـح
آنســـنا جـــداً وكـــان
ومعنـا عبد العـزيـز
ابن عزيـز صـــــــاحب
والشـهم عـبد القـادر
ذو القـلم السيـال في
فهـو أبونا فـي مقـام
لأننا صـــرنا صـــخوراً
ثـم هبطـــــــنا فـي
جلـــــودنا فِي الــــبرد
أيضًـــــــا وزرنا أهل
عند شبـــاب كالنجـــوم
بـــــــــالمنقتن أخـت
كأنهـا بـاقــة زهـر
ولْ كمْ حفظنـــــــاها
بليـزَ أي إبليـس قـد
جـــــــــــــاء لكـم
المقامَة
والحمـد لله عـــــــلى
حمـــداً يوافـي دائمـــاً
ثم صـلاة الله مـا هب
على الرســــــــــول
وبيـتـه والآل
والعـــذر إن لم أحسـن

المقـامَــة الـنسـائيـــة

((النسـاء شـقائق الرجـال))

لا أسأل الله تغييرا لما فعلت   **نامت وقد اسهرت عيـــــني عيناها**

رفقًا بــالقوارير ، فــإنهن مثل العصــافير ، لكل روض ريحــان ، وريحــان روض الــدنيا النســوان ، هن شــقائق الرجـال ، وأمهـات الأجيـال ، هن الجنس اللطيف، والنـوع الظريف ، يلــدن العظمــاء ، وينجبن العلمــاء ، ويــربين الحلمـــاء ، وينتجن الحكمــــاء ، المــــرأة عطف ، ولطف وظــرف ، ســبابها ســراب ، وغضــبها عتــاب ، من وخطه المشيب، فليس له من ودهنّ نصيب ، لو جعلت لها الكنوز مهــرا، وقمت على رأســها بالخدمة شــهرا ، ثم رأت منك ذنبا قليلا ، قــالت ما رأيت منك جميلا ، القنطــار من غيرها دينــار ، والــدينار منها قنطــار ، هي في الــدنيا المتــاع ، والحسن والإبداع ، وهي للرجل لباس ، وفي الحياة إيناس .

وهي الأم الحنــون ، صــاحبة الشــجون ، خــير من رثى وبكى ، وأفجع من تــألم وشــكى، لبنها أصــدق طعــام ، وحصنها أكرم مقام ، ثديها مـورد الحنـان ، وحشـاها مهبط الإنســـان ، في عينها أســــرار ، وفي جفنها أخبـــار ، في رضاعها معاني الجود ، وفي ضمها الـود المحمـود ، قُبَلاتها لطفلها صــلوات القلب ، وبرّ طفلها لها مرضــاة الــرب ، شبعها أن لا يجوع وليـدها ، وجوعها أن لا يشــبع وحيـدها ، غيــاب المــرأة من الحيــاة وأْد للســرور، واختفاؤها في مهرجان الدنيا قتل للحبور.

هي بيت الحسب والنسب ، وجامعة المثل والأدب ، ذهبٌ بلا امرأة لهب ، وجـوهر بلا امـرأة خشب ، تقـرأ في نظراتها لغة القلوب ، وتعلم الحب من هجرها المحبـوب ، وبـالمرأة عـرف الهجر والوصـال ، والاتصـال والانفصـال ، والغـرام والهيـام ، والــبراءة والاتهـام ، تقتل بــالنظرات ،

وتخطب بالعبرات ، كلامها السحر الحلال ، ولفظها العسل السيَّال ، بسمتها ألذ من العنب والتـوت ، وهي أسـحر من هــاروت ومــاروت ، وقــال نســوة في المدينة ، كل مهجة فهي لنا مَدينة ، وأفضل النســـوان ، الحصـــان الـــرزان ، ألفاظها أوزان ، وعقلها مــيزان ، إذا تحجّبت فشــمسٌ في غمــام ، وظـــبي في خـــزام ، هي رواية تترجمها الأرواح ، وهي مِسْك تذروه الرياح ، في شـفتيها ألف قِصَّــة ، وفي أعماقها سـبعون غصَّــة ، ليلي جعلت نهـار المجنـون ليلاً ، وصيرت عَزَّةُ دموع كثيِّرٍ سيلاً .

ليلي وليلـــــــى نفى

في الطُّول والطّول

يجـود بـالطُّول ليلــي

بالطـّول ليـلى وإن جادت

على شفتيها المطبقـات سـؤال ، وفي جفنيها مقــال ، أحرف الحب صامتة على محيّاهـا، وقصـائد الغـرام حـائرة على ريّاها ، حسن الشمس من حسنها ينهــار ، والليل من شــعرها يغــار . من النســاء خديجة رمز الأدب ، لها قصر في الجنة من قصب ، لا صــــــــخب فيه ولا نصب ، ومن النســـاء عائشة بنت الصـــديق ، صـــاحبة العلم والإتقـــان والتحقيق ، المطهرة الطاهرة ، صاحبة السـجايا البـاهرة ، والمحامد الظـــاهرة ، ومن النســـاء فاطمة البتـــول ، بنت الرسول ، أم السِبْطين ، الحسن والحسين ، سـيدة نسـاء العالمين ، المقبولة عند رب العالمين .

ولـو أن النسـاء كمـن

لفضِّـــلت النســـاء على

فما التأنيـث لاسم

ولا التـــــــذكير فخــر

المــرأة صـحيفة بيضـاء ، يكتب فيها الرجل ما يشــاء ، من حب وعتاب ، وغضب وسـباب ، وهي روضة خضــراء ،

وحديقة فيحــاء ، فيها من كل زوج بهيج ، ومن كل شــكل فـــريج ، أمضى ســـيوفهن الحب ، يصــــرعن به ذا اللُّب ، الحــازم معهن ضــعيف ، والعاقل عنــدهن سخيف ، تــرى الرجل يصارع الأسود ، ويقارع الجنود ، ثم تغلبه امرأة..!

وترى الرجل يزهد في الحطام ، ويصوم عن الشــراب والطعام ، ثم تصرعه امرأة ، وترى الشجاع يطرح الكمــاة ، ويهزم الرماة ، وإذا قَصْدُه امرأة .

عنترة فُتِن بعبلة ، فرأى بريق السيوف كثغرها فقاتَل ، ورأى ســواد الهــول كشــعرها فنــازَل ، حضر جيش فشم طيب العطارة منشم ، فيا خسارة من شم ، فصار الجيش بطيبها في هزيمة ، ولأعدائه غنيمة .

المرأة ولو أنها في الخصام غير مبين ، فدمعها أفصح شيء عند المحــبين، سِرّ قوّتها أنها ضــعيفة ، ولغز بأســها أنها لطيفة .

يريد الغــرب من المــرأة أن تتــبرج ، وبالفتنة تتبهــرج ، وعلى الثلج تتزلج ، ويريد الإســلام منها العفــاف والســتر ، والتقوى والطهر، لتكون آية في الحسن والقبول والأسر ، يريد أهل الكفر منها أن تكــــون عالمة فيزيــــاء ، وعارضة أزياء ، ولو فتنت رجالها ، وعقّت أطفالها ، وضيّعت أجيالها ، ويريد الإســلام أن تكــون أمينة حصــينة ثمينة ، الأمل من عينيها يشــــرق ، والظمأ في دمعها يغـــرق ، والســِّحر من بهائها يُســـرق ، بكاؤها صــــرخة احتجــاج ، وصــمتها علامة الرضا بــالزواج ، كــان آدم في الجنة بلا أنيس ولا جليس ، فطالت وحشته، وصعبت عليه غربته ، فخلق الله له حــواء ، فتم بينهما الصــــفاء والوفـــاء، وحسن اللقــــاء ، وجميل العِشْــرة والاحتفــاء ، فرجل بلا امــرأة كتــاب بلا عنــوان ، ومُلْك بلا سلطان ، وامرأة بلا رجل صحراء لا نبت فيها ولا شجر ، وروضة لا طلع بها ولا ثمر .

شــــكرًا يا آمنة بنت وهب لقد أهــــديت للإنســـانية ، وقدمت للبشرية ، ابناً تضــاءلت في عظمته الشــمس في ضــحاها ، والقمر إذا تلاها ، ابنا قــال للوثنية وهي تعــرض تلك العروض، وتفرض تلك الفروض ، والــذي نفسي بيــده

لو وضـعتم الشـمس في يميـني ، والقمر في يسـاري لن أترك ديني ، حتى يعم القـرى والـبراري ، ويكفي النسـاء ، ما أطل صـباح وكـرّ مسـاء ، أن محمـدًا صـلى الله عليه وسلم من امرأة وُلِد ، ومن أنثى وُجِد :

بشـــــرى من الغيب
وحياً وأفضت إلى الـــدنيا

بشرى النبـوة طـافت
وأعلـــنت في الدنـا ميلاد

وشقّت الصــــــمت
تحت الســـــكينة من دار

المقامَة

قدَّمت المـرأة للعـالم الخلفـاء الراشـدين ، والأبطـال المجاهـدين، وعبـاقرة الـدنيا والـدين ، المـرأة إذا حسّـنت آدابها ، وطهّــــرت جلبابها ، ملأت القلب حنانا ، والـــــبيت رضوانا ، والدنيا سكنًا وعرفانا .

والبيت بلا امرأة محـراب بلا إمـام ، وطريق بلا أعلام، إذا اختفت المـــــرأة من الحيــــــاة ، اختفت منها القبلات والبسمات ، والنظرات والعبرات .

وإذا غـابت المـرأة من الوجـود غـاب منه الإخصـاب والإنجاب ، والكلمات العذاب ، والعيش المستطاب .

في الحديث : ((تزوجوا الودود الولـود)) ، والسر في ذلك لتكثر الحشـود ، وتـزداد الجنـود ، وليكـاثِر بنا رسـولنا صلى الله عليه وسلم يوم الوفود .

يـــوم تخلع المــرأة الحجــاب ، وتضع الجلبــاب ، فقد عصت حكم الإسلام ، وخرجت على الاحتشام ، وقُـل على العفاف السلام .

كيف يُسـكن بيت بلا أبـواب ، ويُحل قصر بلا حجـاب ، ويُشرب ماء ولغت فيه الكلاب، من حق الدرة أن تصـان ، ومن واجب الثمرة أن تحفظ في الأكنان ، وكـذلك المـرأة بيتها أحسن مكـان ، ولكن المـرأة إذا قلبت ظهر المجن ،

وعرّضت نفسـها للفتن ، فهي ظالمة في ثـوب مظلـوم ، عندهن من أصناف المكر علوم .

كيد الشيطان ضعيف وكيـدهن عظيم ، وقـوتهن واهية لكن خطــــرهن جســـيم ، هن صـــويحبات يوسف ذوات السـكاكين ، وقـاهرات الرجـال المسـاكين ، حـتى قـال الرشيد في بعض النشيد :

مالـي تطـــــــاوِعني

وأطيعهن وهُـنَّ في

فاجعل بينهن وبين الشر لهبا ، واملأ عليهن منافذ الفتنة حرسًا شديداً وشهبا ، فلا تَعرِض اللحم على البـاز ، ولا تنشر القمــاش على الــبزّاز ، فــأنعم بحــرز الســتر والصيانة ، وأكرم بحجاب العفاف والحصانة .

وإذا رزقت بنــات ، فــإن هن من أعظم الحســنات ، حجــاب من النــار ، وحــرز من غضب الجبــار ، فاحتسب النفقة ، فإنها صدقة ، ولو أنه غرفة من مرقة ، وتعاهدهن بـالبر والصـلة ، فـإن رحمتهن للجنة موصـلة ، وكفـاك أن الرسول المشرّع ، رزق ببنات أربع .

والمـرأة هي بطلة الأمومة ، ومنجبة الأمة المرحومة ، فضائلها معلومة ، وهي معدن الحسب والكرم والأرومة.

وتعليمها الـدين من أشـرف خصـال الموحـدين ، لأنها تصـــبح لكتــــاب الله تالية ، ذات أخلاق عالية ، تتفقه في الكتاب والسنة ، لأنهما أقرب طريق للجنة .

وأما علاَّم الكفر ، الــذي أعــان المــرأة على المكر ، وصرفها عن الـذكر والشـكر ، فهو المسـؤول عن عقوقها وتضييعها لحقوقها ، وإصرارها على معصيتها وفسوقها .

جعلــوا المــرأة سـلعة للدعاية والإعلان ، وخطيبة في البرلمان ، تشارك في التجارة ، وتقاتل الجنـود الجـرارة ، جعلوها جندي شـرطة ، فـوقعت من الإحـراج في ورطة ، تمتطي الدبابة ، وتطـارد الكتـائب في الغابة ، يُسـتدَر بهنّ عطف الجبــابرة ، وتــبرم بهنّ الخطط المــاكرة ، ويكفيك

في ضــلالهم ، وســوء أعمــالهم ، أن الهدهد وهو طــائر ممتهن ، أنكر على بلقيس حكم اليمن ، وامرأة خلقها الله لمهمة ، كيف يزج بها في أمور مدلهمّة .

ونحن الرجال أسندت إدارة الحيــاة إلينا ، وكتب القتل والقتال علينا ، وأما النسـاء في الإسـلام فمقصـورات في الخيام ، محفوظات من اللئام ، مصونات عن الآثام .

وماذا فعل بالمرأة سقراط وبقـراط وديمقـراط ، أهل الأوهــام والأغلاط ، جعلوها شــيطانة ، وســموها الفتانة ، وإنما هي في بعض الأوقات قهرمانه ، وريحانة .

أما الفُــرْس ، البكم الخُــرْس ، فجعلوها خادمة للمــال والنفس ، بل قال بزر جمهـور: المـرأة ليست بإنسـانة فلا تمول ولا تمهر ، وهذا غاية التهور .

أما أهل الوثنية ، ودعـــــــاة الجاهلية ، فحرموها من الميراث، حتى جعلوها أرخص من الأثاث ، ووأدوا البنـات ، وقتلوا الأخوات ، وعقّوا الأمهات ، وليس لها عنــدهم قيمة ، فهي في منزلة البهيمة ، فهي عنـــــدهم حق مشـــاع ، للخدمة والمتاع .

أما الغـــرب فهي عنـــدهم للمغريـــات ورقة رابحة ، أبرزوها في صـــور فاضـــحة ، أخرجوها بلا أدب ولا دين ، وعرضوا صورتها في الميادين ، باعوها في سـوق النخاسة ، ووظفوها للـــــرجس والخساسة ، وأقحموها مغـــــارات السياسة .

وما كـرَّم النسـاء ، مثل صـاحب الشـريعة السـمحاء ، والملة الغراء ، فقد بيّن بقوله ، ((خيركم خـيركم لأهله)) ، ويا معاشر الأمم هل عنـــدكم ، حـــديث ((الله الله في النساء فإنهن عوان عندكم)) .

وكـان في بيته صـلى الله عليه وسـلم أفضل الأزواج ، دائم السرور والابتهاج ، يملأ الـبيت أنسًـا ومزاحا ، وبشـرا وأفراحا ، طيّب الشـذى ، عـديم الأذى ، لطيف المحشر ، جميل المظهر ، طيب المخـبر ، لا يعـاتب ولا يغاضب ، ولا يطـالب ولا يضـارب ، يـؤثر الصـفح على العتـاب ، والحلم

على السباب . ومن حبه للبنات ، وعطْفِه على الضـعيفات ، يحمل أُمامة ، وهو في الإمامة ، فإذا سجد وضـعها ، وإذا قام رفعها ، وكان يقوم لفاطمة الزهراء ، والدرة الغـراء ، ويجلسـها مكانه ، ويطأ لها أركانه ، فكـأن سـرور الحيـاة صب عليها ، وكأن الدنيا وضعت بين يديها .

هِيْ بنـت مَـنْ هـي أم
من ذا يساوي في الأنــام
أمـا أبوهـا فهو
جبريل بالتوحيـد قد
وعليٌّ زوجٌ لا تسل
سيـفٌ غدا بيـمينـه تيَّـاها

وكان يجلس صلى الله عليه وسلم للنسـاء من أيامه ، فيفيض عليهن من بـره وإكرامـه، وجـوده وإنعامه ، فكأنه الغيث أصاب أرضًا قاحلة ، والمـاء غمر تربة ماحلـة، فـإذا هو يملأ القلــوب حبّا ، والنفــوس أنســاً وقُربا ، يبشر من مات لها ولد بالنعيم المقيم ، فتتمـنى كل امـرأة أنها ذهب لها فطيم ، لِما سمعت من الأجر العظيم .

ويُخــبر من تطيع بعلها ، وتُحســِن فِعْلها ، بــأن الجنة مأواها ، والفــردوس مثواها ، يقف مع المــرأة الشــاكية ، ويتفجع للأنثى الباكية ، فلو كانت الرحمة في هيكل لكانت في مثاله ، ولو الرفق في صورة لكان في ســرباله ، تأتيه المرأة المصـابة في خـوف وهـول ، وفي دهش وذهـول ، فما هو إلا أن تــرى إشــراق جبينه ، ويُســْر دينه ، ولطفه المتناهي ، وخلقه الباهي، حتى تعود عامرة الفؤاد ، حسنة الفأل والاعتقاد .

مقـامَـــةُ الـحـيّــل

((ولتعرفنـهم في لحـن القـول))

دهاء يريك الغيب في ثـــــوب حاضـــــرٍ　　وفهم كحد السـيف أمضى وأصـــــوبا

إذا ظن ظنًّاً صار　　وإن قال قولاً صار

إذا رأيت الرجل يعتــاد المقــاهي ، لشــرب الشيشة والشــاهي ، ومجالسة كل لاهي ، فــاعلم أن الرجل فاسد الإرادة ، ظاهر البلادة ، لا يساوي جرادة ، ولن ينفع بلاده .

وإذا رأيت الرجل ليلة الــزواج ، وهو فاسد المــزاج ، يبحث عن علاج ، ويقول فاظفر بـذات الـدين ، فـاعلم أنه ظفر بعابسة الوجنتين ، خشنة اليـدين، كل ما فيها شـين ، وإذا رأيت الرجل خـــــرج من عند القاضي وهو يتلو : وما شــهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حــافظين ، فــاعلم أن القاضي ردّ شـــهادته ، وهو له من الغـــائظين ، وإذا رأيت الرجل يجلس في الملهى يقرأ جريدة ، أو ينظم قصــيدة ، فــاعلم أن حياته غــير سـعيدة ، أو أنه يبحث عن وظيفة ، ولو سخيفة ، وقد تقطعت به الحبال ، وخابت منه الآمال .

وإذا سمعت الرجل ينشد كثيرًا قول الشاعر :

ومن لم يذدعن　　يهـــــدم ومن لا يظلم

فـــــاعلم أنه جحد لأخيه فلوسا ، وحلف عليها يمينـــــاً غموسا ، وإذا سمعت الرجل يردد كثـيراً قوله تعـالى إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ فـاعلم أنه خطب عند بعض الوجهاء ، فردّ عليه بجفاء .

وإذا رأيت الرجل خرج من بيته غاضباً وهو ينشد :

أنا ابن جلاّ وطلاّع　　مـــــــتى أضع العمامة

فـاعلم أنه زوجته ضـربته ضـرباً مبرحا ، وهو يُعـرِّض لئلا يكون مصرّحا .

وإذا سمعت الرجل يقول كثيراً الـدنيا ملعونة ، فـاعلم أنه ذكر ديونه ، وما وجد من أحد معونة ، وإذا ســـــمعت الرجل يكـرر الآية وقليل من عبـادي الشـكور ، فـاعلم أنه طلب قرضاً من رجل فاعتذر منه فأخذ يعـرّض بالمـذكور، وإذا سـمعت الرجل يـردد الـدنيا لا تسـاوي جنـاح بعوضة، فــاعلم أنه طلب من التجــار قرضــاً فرفضــوا إلا بِرِهــانٍ مقبوضــه ، وإذا ســمعت المحاضر يــردد في محاضــرته : الحديث شيِّق ، ولكن الـوقت ضـيق ، فـاعلم أنه ما حضَّـر للمحاضرة ، وقد كدَّ ذهنه وخاطره .

وإذا سمعت المفتي يكرر كثيرًا : لا تسـألوا عن أشـياء إن تبد لكم تسـؤكم . فـاعلم أنه قد احتـار في الجـواب ، وخفي عليه الصواب .

وإذا سمعت الموظف يستشـهد بقـول الشـاعر : لكل شــيء إذا ما تم نقصــان ، فــاعلم أنه قد فصل من عمله وهو حاقد غضبان .

وإذا رأيت الرجل يكـــثر من قـــول فسد الشـــباب ، وأصبحت أخلاقهم كأخلاق الكلاب ، فـاعلم أنه ما عنـده إلا بنات ، وهو يتمنى الأولاد من سنوات .

وإذا رأيت رجلاً وقد ذكر عنده أحد الدعاة ، الـذي نجح في دعوته ومســـعاه، فقـــال هـــذا الرجل . أهم شـــيء الإخلاص لله في القــول والعمل ، ومراقبة الله عز وجــل، فاعلم أن الحسد قد أكل قلبه ، وضيّع لبّه .

وإذا سمعت الرجل يحمد الله على أنه لا يشـعر بجـوع وظمأ وتعب ، وأن الصــائم لا يشــعر بنصب ، فــاعلم أنه صـائم، فهو يُلمِّح لك لتكـون بصـيامه عـالِم، وإذا سـمعته يخــبرك بــأن الليل طويل أو قصــير ، ويخــبرك أن النــاس وقعوا في التقصير ، وتركوا القيام وهو سنة البشير النذير ، فاعلم أن الرجل في الليلة الماضـية قـام يصـلّي ، ولكنه يريد أن يوضّــح لك الأمر ويجلّي . وإذا رأيت الشــاعر كل

ســنة له ديــوان ، ويهــدي شــعره على الإخــوان ، ويلقي قصائده على الجـيران ، فـاعلم أن شـعره لا يَهزُّ شَـعْرَة ، ولا يسـاوي بَعْـرة ، وإذا سـمعت المتحـدث يقـول ما كنت أرغب الحــديث إليكم ، ولا أريد أن أطيل عليكم ، فاعلم أنه ما عنده كلام ، ويريد أن يتخلص من المقام .

وإذا رأيت الرجل يكــــــــثر من قوله : نحن في نعم وخــيرات ، وفي رغد ومســرات ، فــاعلم أنه قــريب عهد بمال ، أتاه هديةً أو بسؤال ، أو مُنِح أرضاً في الشمال .

ومن يكــثر كل يــوم من العنــاق ، وذكر الاشــتياق ، والسـؤال عن الأهل والرفـاق، فـاعلم أنه ثقيل ، وعـذاب وبيل ، فما لك إلا البعد عنه والرحيـــل، وإذا ســلّمت على رجل فقـال : من أنتم ، وأين كنتم ، فـاعلم أن الرجل فيه إعجـاب ، وكـبر على الأصـحاب ، وإذا رأيت الرجل يكـثر على طعامه من الــترحيب والتبجيل ، ويعتــذر بأنه قليل ، فاعلم أنه بخيل .

وإذا ســمعت المتكلم يتفصح ، ويتبجّح ، ويقــول : إن الحقيقة تنطلق من أطـر، وتنبثق من بوتقة ، وتنصـهر في قوالب ، وتلعب دوراً ، فاعلم أنه قليل بضاعة ، ما مَدَّ إلى العلم باعه ، وإذا سـمعت الرجل يكـثر من قوله : النـاس معادن وأصول ، وفي الأنسـاب فاضل ومفضـول ، فـاعلم أن الرجل أبــاه شــيخ قبيلة ، وهو لا يســاوي فتيلة ، وإذا سمعت من يُسأل مسائل في الشريعة ، فيجعل الاحتيـاط له ذريعة ، فاعلم أنه قل علمه ، وبرد فهمه .

- من جاور المسجد فهجـره ، واسـتفاد من العـالم ومـا شكره ، وأخذ المعـروف وكفـره فهـذا رجـل مخـذول ، عقله مدخول ، وقلبه مخبول .
- إذا رأيت الرجــل يكــثر من تــاء المتكلم فيقــول : دخلت ، وخرجت ، وقرأت ، وكتبت ، ولقيت ، وقابلت ، ودعيت ، وزرت ، وقلت ، وألفت فــاعلم أنــه أحمــق ، وكلامــه غــير محقــق ، لكنــه متفيهــق ، متشــدّق ، متمنطق .

 إذا رأيت الطالب يقول : ليس العلم بحفـظ المتـون ، ولا بجمع الفنون ، فاعلم أن ذاكرته في الحفظ تخون .

مقامَــة الحـيــوان

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾

قال الراوي : فحدثنا عن عالم الحيوان ، فلعلك قرأت للجاحظ صاحب البيـان ، قلت : سـمعًا وطاعة ، والجاحظ صـاحب فصـاحة وبراعة ، فاسـمعوا وعـوا ، وفي ريـاض الذكر فارتعوا . اجتمعت الحيوانـات ، في بعض الأوقـات ، فقـالوا للحمـار ، يا المغـوار ، أنت بطل الـدار ، وحمّـال الأثقال الكبار ، فحدثنا عن الدنيا الدنيّة ، قبل حلول المنيّة ، فانتحب الحمار وبكى ، وإلى إخوانه شـكى ، وقـال : من عنده ستون صاعًا من شـعير ، وتبن كثـير ، فلا يأسف من الدنيا على صغير ولا كبـير ، فـأطرقوا خاشـعين ، وأنصـتوا ســامعين ، وشــكروه أجمعين ، ثم قــالوا : من علمك الحكمة يا أبا المغوار .

قــال : أنتم لا تعرفــون الســبب ولــذلك طــال منكم العجب ، أنا ســـــــافرت في طلب الحكمة إلى الهند ، فأخطـأت الطريق إلى السـند ، فلما قصـدت السـند مع أصدق رفيق ، ضـللت الطريق ، فوقعنا في غابة ، فـأكلت نبـات الـروض وأعشـابه ، فلما شـبعت رجعت ، ونسـيت لمـاذا سـافرت ، ولأي سـبب غـادرت ، فلهـذا صـرت من الحكمـاء ، لكـثرة من لاقيت من العلمـاء ، فقيل له يا أبا المغوار ، ومن لاقيت من العلماء الكبار .

قال لقيت عالمًا نسيت اسمه ، وضيّعت رسـمه ، هـذا العالِم يسـكن في صـنعاء عاصـمة باكسـتان ، وله ابن في الخرطوم إحدى مدن أفغانستان ، وهـذا العـالم تـزوج من عمــان ، وهي قرية من قــرى إيــران. فقــالوا له : يا أبا المغــوار عافــاك الله من العين، وسـلّمك من الـدَّين ما ندري هل نعجب من حسن نطقك ، أو من سعة حفظك .

فقال : من سهر الليالي ، نال المعالي ، قــالوا : زادك الله علماً ، ورزقك فهماً ، فما هي أمنيّتك في هـذه الـدنيا القصيرة ، فإنك صاحب بصيرة .

فقـال : يا ليت لي حقل من برسـيم ، فـأقع فيه وقعة والي مـال اليـتيم ، فأجعله كـالرميم، ثم بكى حـتى دمعت عيناه ، وقال : يا سعادة من نال مناه .

ثم أنشد :

من يـــــذم الشعيـر

فهـو بالذم والملام جديـرُ

هِو عنـــدي ألـــذُّ من

ليـت إِن الجبـــــــال تلك

فبكى الجماعة ، ورامـــوا وداعه ، فانصـــرف الجمع ، وبُل الخد بالدمع .

ثم قال الـراوي : حـدثونا يا أهل التهـذيب، عن الـتيس والــذيب ، لنأخذ من الحكمة بنصـيب ، فقلنا : مر الــذئب والتيس على منزل ، فقالا : يا جبان انزل ، فقال الـتيس : قاتلك الله يا إبليس ، يا ابن الذيبة ، وســــلالة الخيبة ، يا قليل الهيبة ، فقال الذيب : عجيب ، متى جاءتك الشجاعة ، يا رمز اللــؤم واللكاعة ، أنســيت يــوم أكلت عمك قبل عامين ، وقتلت لك ولــدين ، ما غــرك إلا محلك ، وإلا فإنه معروف ذلك .

فــــإن كنت صــــادقًا ، وبــــالحق ناطقًا ، فاهبط إلى الميـدان، لأجعلك طعامًا للديـدان ، فـردّ عليه وهو يقـول ، ويصول ، وفوق السقف يجـول : اخـرس يا خسـيس ، فأنا التيس ابن التيس ، فلو قاتلت بالقرون ، لطرحتك والناس ينظرون ، ثم أنشد :

قـروني كالرمـــاح إذ

كمـــــاة في الحـــــروب

أنا ابن الأكرميـن أباً

فقل للقـــــــــوم هيَّـا

فقال الذئب : خبرك لديّ ، ولكن منصبك شجعك عليّ ، فليت الأيام تدور ، فإن الدهر غَـرور ، والزمـان عَثـور ، لترى يا جبان ، قيمة الشجعان .

ثم أنشد الذيب ، وفي صدره لهيب:

يا تيـس ليـت لنـا

فيـه ليعــــرف هزلنـا من جِـــــــــــــــدِّنا

فــإذاً لعـرّفنــاك أنـّا

نلنـا المكــارم كـابراً من

فقـــالوا : حـــدثنا عن الصّياد والحمامة ، يا أبا أمامة، فأنت في أخبار الحيوان علاّمة ، قـال : خـرج الصّياد ، وقد وضع يده على الزِّناد ، يريد أن يصطاد ، ففـارق أصـحابه ، ودخل الغابة ، وخلع جلبابه ، ومدّ النظر ، بين الشــــجر ، وقـال اللهم اتحفنا بصـيد ، إنك تعلم ما نريد ، فكـان كلّما مرّ به سـرب من الطيـور ، يـأبى أن يقع لأنـه يـرى الرجل يدور ، والطـير صـاحب حـذر ، ودقة نظر ، لا يغـتر بكلام ، ولا يخدعه سلام ، ولا يركن إلى عهد، ولا يثق بوعد ، وهذه صـفة الـذكي الأريب ، والداهية الأديب ، أما الأحمق ، فإنه على كل صخر يسحق ، وبالأسرار يتــدفق ، وفي مذهبه لا يترفق.

فلما أيس الصياد ، صاح : يا حسرة على العباد ، حـتى الطير ، أصبح يشك في الغـير ويظن ظن السـوء في أهل الخير ، ثم أنشد :

وهـل مثـــلي يخـونٍ

إذا أعطى ويحنث في

فلـو أن الحمامـة

وَفيـت ولو أقــــامت في

ثم نــادى الصــياد : يا أيتها الطــير ، أنا رجل من أهل الخير ، اهبطي يا جند سليمان ، ولك الأمان ، فأنا مشــتاق لكِ من زمان ، فردّت عليه ، ونظرت إليه ، مـتى كـان لك عهد وميثـاق ، يا كثـير النفـاق ، كيف نصـدقك ، وقد قتلت أمهاتنا بالرصــاص ، بلا قــود ولا قصــاص ، ومــتى تــركت العادة ، يا من أمسك زناده .

فقـال الصـياد : تبنا إلى رب العبـاد ، وتركنا عـادة أهل الفسـاد ، ونـدمنا على ما سـلف، وسـوف نغـرم ما تلف ، فانزلن مأجورات مشكورات ، وبالخير مذكورات .

فقــالت الطــير : كلا يا عنيد ، يا ذا البــأس الشــديد ، فــأنت عنـــدي كذّاب مريد ، ثم ذهب الطــير ولم يهبط ، وأسرع ولم يسقط ، فـأيس الصيّاد ومـلَّ ، وهمّ أن يرتحل ، وأن يترك المحل ، فصاحت الحمامة الحمقاء ، تردد قـاء قاء ، وتقول يا صياد لست أنا هنا ، فلا تشغلك المـنى ، ولا تكثر من العنا ، وأنشدت تقول :

يـا أيـها الصياد لست هنا
فارحل ودع عنك المشقة

لو كنت عنــــدك يا أخي
وكـذاك أنـت فلست أيضًا

فالتفت فرآها ، فسدد رميته ورماها ، فقتلها وأدماها ، وهذا جزاء من نشر الأسـرار وأفشـاها ، ولم يجعل صـدره منتهاها .

قــالوا: فحــدثنا عن الــدجاج والثعلــبين ، فقد صــرنا بحديثك معجبين .

فقـــــال : قصص النبلاء ، تخفف كل بلاء ، وســـــير الصـالحين ، سـلوة في كل حين ، وقد مـرّ ثعلبـان ، وهما يلعبان ، بجماعة من الدجاج ، داخل شـبك من سـاج، قـال أحدهما لصاحبه ، وهو يحاوره ، والتفت إليه وهو يسايره ، ما رأيك في حيلة ، تكون لأكل هـذا الـدجاج وسـيلة ، فـإن الخديعة ، لأجـدادنا شـريعة ، وهـذا زمـان المـاكرين ، وقلة

الشـــاكرين ، وكما هو مكتـــوب في لوحة من إبريز ، لشكســـبير شاعر الإنجليز ، حيث يقول :

احتـل لنفسك في

أظهر لمن تنــوي الــردى

واخـــدع فـــأنت بأمة

فنفوسـهم عنـد العطـــاء

فــالمكر فيهم سـنة

يسعـــــــــون للدنيـا بكل

فقال الثعلب الصغير للكبـير : يا أبا منـير ، يا مرشـدنا في كل أمر خطير ، تقدم وتكلم فمنكم نتعلم ، فـأنت في الخـير إمـام ملهم ، فتقـدم الكبـير وقـال : السـلام عليكم أيتها الدجاج ، أنا أبو منير وهذا أبو الحجاج ، وكل منا للآخر محتاج .

فقالت الدجاج : لا سلمك الله يا محتال ، يا كـاذب في الأقوال ، يا سيئاً في الأعمال ، فرد عليها وقـال : اسـتغفر الله لي ولكم من الذنوب، وأعـوذ بالله من العيـوب ، فإنه مقلب القلوب ، ماذا سمعتم عني ، وماذا دهاكم مني .

قالوا : أليس أبوك قتل أبانا ، وأخوك قبل عامٍ سبانا .

فقــال : وما شــأني بــأبي إذا ضل ، وبــأخي إذا زل ، فالولد لا يحمل وزر الوالد ، واللئيم لا يعدي الماجد .

فقــالوا : الغــدر فيكم طبيعة ، والمكر لكم شــريعة ، وتـاريخكم مليء بالأخبـار الفظيعـة، فقـال : لست بـراض عما صار ، وأعـوذ بالله من عمل أهل البـوار ، جعلهم الله وقود النار.

ثم أنشد :

لـــــزمت المصــــلّى

وتبت إلى الرحمـــان مِن

وألـــــــزمتِ نفسي

وأشـــغلت بـــالإخلاص يا

فلما سمعت الدجاج قـول الثعلب ، قلنا : أظنه جـاد لا يلعب ، صادق لا يكذب ، فاسألوه ماذا يريد ، بهـذا النشـيد والقصيد .

قال أريد أيها الدجاج ، أن تفتحوا لي وأخي باب الساج ، لنطيل معكم السمر ، في ضوء القمر .

فقالوا أعطنا اليمين ، أن لا تروغ علينا ضرباً باليمين .

فقال : والـذي نصـرنا عليكم بالحيلة ، وفتح علينا بكل وسـيلة ، لا نـترك عادتنا ولو حـال بيننا وبينكم قبيلة ، فما فهموا يمينه ، وما عرفـوا دينه ، ففتحـوا البـاب ، وقـالوا : مرحباً بالأحباب ، وخيرة الأصحاب ، فلما دخل هو وأخوه ، ردّوا البـاب وأغلقـوه ، فلما سـكنّا ، جلسـنا وتمكّنا ، فلما أظلم الليل ، وحضرت ساعة الويل ، وبـان الفجر وحـان ، وقعا في الدجاج يذبحان ، فصاح الــدجاج : قيط قيط ، ما هــذا يا عبيط ، الله من وراءكم محيط ، فقــال الثعلب : لو ملأتم الدنيا قرقرة ، حـتى سـمعكم أهل أنقـرة ، ما كففنا عنكم حـتى نـرى مهجكم معقّـرة ، فأنشـدت دجاجة تقطر دمًا ، إذ أصبح جسمها مهدمًا .

واحســـــــرتاه كيـف

ومكـــــــــره بيـن البرايـا

هـذا جــزا من صـدق

وأمِن الرفقة والأصــحابا

وصــــــــاحب العقل

مُـهيّئـًا لخصـمه مخـالبــه

فضحك الثعلب وقال :

مــــــوتي بغيظلك يا

كيـد الحســـــــود وناصر

رأيي تقـــــــدم في

والـــــــرأي قبل شجاعـة

فلما شبع الثعلبان ، وقاما يذهبان ، فإذا البـاب مغلق ، والشبك مطبق ، فإذا كل منهما مطـرق ، فقـال كبيرهما : وقعنا في بليّـــة ، وأظنها دنت منا المنيّـــة ، فكيف لو أن صاحب الدجاج أبصرنا ، لقصدنا بالرصاص وأمطرنا ، فقال الأصــغر للأكــبر ، أنت أبو الــدواهي ، مــرتكب المنــاهي ، طويل الباع ، في الحيل والخداع ، فأخرجنا منها سالمين ، فإن عدنا فإنا ظالمين . فصمت الأكبر ، وتأمل وتفكر ، ثم هلّل وكبر ، وقال لصاحبه: علينا أن نغمض العيـون ، وننفخ البطون ، وننام فمن رآنا قال ميّتون ، فإن الناس أكــثرهم لا يعقلـون، ولا تغـرك الصـور ، فـإن أكـثر من تـرى بقر ، فقـال الأصـغر : لا فض فـوك ، وفـداك شـانئوك . ثم ناما كأنهم أموات ، وهجعا في سـبات ، فجـاء صـاحب الـدجاج فما وجد من دجاجة إلا الــريش فصــاح : إيش هــذا إيش ، والله لا طاب بعدها العيش ، ثم نظر إلى الثعلبين ، وقـــال : شـــاهت الوجـــوه الكاذبة ، العاملة الناصـــبة ، الناهبة السالبة ، فلو كنتما أحيـاء ، لأسـلت منكما الـدماء ، جـزاءً على فعلتكم النكراء ، لكن سبقني الموت عليكم ، وأسرع الفنـاء إليكم ، فسـبحان الله المـوت أعجل ، ثم سـحّبهما بالأرجل ، فلما رآهما في الوادي ، واستشــهد على موتهما أهل النـــادي ، قاما مُســـرعَين ، وهربا ضـــاحكين ، والتفتا منشدَين . فقال الأكبر :

أغـــبى من النـــاس
إلا القليـل فلا تحفـل
هم كذبوا رسـل الله
تريد منهم على طـــــول
أما تـــــراهم وهـــذا
لاهين في الأرض لا

وأنشد الأصغر فقال :

لا تثق يا صـــــاح في

فالغبـا والجهـل فيـــــهم

هم عصــوا خــالقهم

وهـو المنعم والكـافـي

فقال صـاحب الـدجاج : أظن أنّا تورطنا ، فيا حسـرتنا على ما فرطنا .

قالوا : فخبرنا عن قصة الثيران والأسد ، فما سمعناها من أحد .

فقال حبـاً وكرامة ، وحق الصـاحب كالغرامة ، ونعـود للحـديث عن الحيـوان والعـود أحمد ، وما يطلب العلم إلا كل أمجد ، فكان هنـاك ثلاثة ثـيران أبيض وأحمر وأسـود ، يرعــون بجـانب الغـدير ، وكل واحد منهم كأنه وزير ، في منصب خطـــير ، فمر بهم الأسد أبو أســـامة ، فعــــرفهم بالعلامة ، ودعا لهم بالسلامة ، وقال كيف الحال يا إخـوان ؟

قالوا : بخير يا خوّان ، فقال : علام هـذا السب علاما ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، فقالوا يا أبا حيْـدرة : كل يعـرف بيـدره ، أنسـيت كم أكلت منا من ثـور ، يـوم ساعدك الحظ العَثور ، ثم أنشد الثور الأبيض فقال :

لا تـــأمن الليـث أبـا أسـامـة **فإنـه ســـــــــلّ لنـا حسـامـَه**

وفـــــرّ منـه فهـو لا **وذكره قد جـاء في** مقامَة

ثم ارتجل الثور الأحمر منشدًا فقال :

أشجع كـل الكائنـــات

ســـمَّاه ربي في الكتــاب

فقلبـه في الـــــروع

لطـالـــما أقسـم عمـــدًا

فقام الثور الأسود وأنشد :

هـــــذا الهزبـر ملك
كشّـــر للمـــوت مصـــرًّا
تبَّت يـــــدا مـن أمَّه
ويـلٍ لمـن عانـــــــــده

وكلما أقبل عليهم الأسد ، ولِقتْلهم رصد ، أقبلـوا كلهم إليه ، وتجمعـوا عليه ، والوحـدة قـوة ، وهو رمز الأخـوة ، والكثرة تغلب الشجاعة ، والاتحاد دليل البراعة، فلما أيس من الثيران ، لجأ لبعض الغيران ، ووضع رأسه على عود ، وزئيره كالرعود .

وأنشد يقول :

أنا الذي أرهب الدنيـا
ولـــم أخـــف عنــدما آتى
واليـــــوم تغلبـــــني
يا جـاهلاً عن ثبـات الليث

فليس لي حيلة في هذه الطائفة ، التي صـارت بالألفة غير خائفة ، إلا أن أشتت قلوبهم ، وأظهر لبعضهم عيوبهم ، وآخذ كل واحد على حـدة ، وأعـده عـدة ، لأتـرب يـده، فجاء إلى الثور الأسـود والأحمر ، في ليل مقمر ، وقـال يا قــوم ، رأيتكم اليــوم ، وأنتم في الــروض ترعــون ، وإلى الغـدير تسـعون ، فـرأيت الثـور الأبيض يسـبقكم ، وبعين الحسد يرمقكم ، يستأثر عليكم بنبت السماء ، ويـزاحمكم على الماء ، فماذا ترون ؟ أفلا تبصرون، قالوا : جزاك الله خيراً على النصيحة ، يا صاحب اللغة الفصيحة ، والكلمات المليحة ، فأمرنا بما تـرى ، وقد خـاب من افـترى ، فقـال في نفسه : وقع القوم في بليّة ، وحانت منهم المنيّـة ، ثم طلب منهم الوثـوب إلى الثـور الأبيض جميعًا ، حـتى يـرى صريعًا ، فقاموا على حرْدٍ قـادرين ، وللمـوت مبـادرين ، فنـــاطحوا الأبيض وحاصـــروه، وصـــارعوه وحـــاجروه ، وبالعداوة كاشروه ، ثم طرحوه أرضا ، ورضّوه رضّا.

فلما أحسّ بـالموت ، وأيقن بـالفوت ، وفاته القـوت ، قال :

هـــــــذه الحيلة من

يـــــوم يلقـــــانا ببغـي

مصرعـي مصـــرعكم

غيـر أن الــرأي منكم قـد

فلما مات الأبيض سر الأسد وفرح ، وسـعد وانشـرح ، ثم تركهم لزمن يسـير ، وهو يقـودهم لسـوء المصـير ، ثم أتى إلى الثــور الأســود ، وقــال يا أبا أســعد : هــذا الثــور الأحمر ، أظنه مغـــــــــتر ، يخفي لك الشر ، أراه بقرونه يناطحك ، وبالعـداوة يصـارحك ، فمـاذا تـرى لو عاونّـاك ، ومن ظهــره مكنّــاك ، لنشق نحــره ، ونفــري ظهــره ، فسـحباه إلى الغـدير ، وليس له من وليٍّ ولا نصـير ، فلما أصبح في آخر رمق ، وفؤاده يحترق ، أنشد :

يا عثـــرة الـرأي هذي

ويا حيـاتي هــذي سـاعـة

يا فرقـة مزقتنـا

صرنا بهاْ ضحـكة للعـــرب

فبقي الأســـود والأسد ، فقـــام الأسد وقعد ، وقـــال : كيف حالكم ، يا رفيق السعَد ، ويا زينة البلد ، فقـال بخـير يا أبا أسامة ، أدركنا من السرور تمامه .

فقـــال الأسد : يا غاية المـــنى ، بقي أنت وأنا ، ونريد اليوم غدًا هنا ، قال الـرأي لك يا ملك الحيـوان ، ويا ثـابت الجنان.

فقــال له الأسد : اقــترب مــني لأناجيك ، وادن مــني لأشاجيك ، فأدنى من الأسد الراس ، وكتم على الأنفاس ، فأنشب الأسد فيه أنيابه ، ومــــــزق جلبابه ، وخلع ثيابه ، وقال : ذق يا ابن البقرة ، يا سلالة الفجرة ، عليك غـبرة ،

وانفـــــــرد الأسد ، في البلد ، وعلى كرسي الملك قعد . وأنشد:

وحـــاربْ إذا حـاربت
وكن واحـدًا لـدنيا وعبـدًا
ولا تخـش مخلوقًا
فما انقـادت الأمجـاد إلا

وإن شئت الزيادة ، وكـثرة الإفـادة ، فعليك بالجاحظ ، فإنه لأخبـار الحيـوان حافظ ، أو اسـأل غـيره وغـيري ، كالحيوان للدّميري .

وصل وسلم على المعصوم ، الـذي علمنا كيف نصـلي ونصوم ، ما مال الشيح والقيصوم ، واختلف الخصوم .

مقـامَـــــة الـمـــــوت

((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ))

لقد لامـــــــني عند ... رفيقي لتـــــذرافِ
القبـــور على البكا ... الـــدموع الســـوافكِ
أمِنْ أجلِ قبرٍ بـالملا ... على كل قــــــبرٍ أو
أنت نــــــــائح ... على كل هالـــــــكِ
فقــــال : أتبكي كل ... لِقبرٍ ثوى بين اللّوى

الموت هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ميتم البنين والبنـات ، مخـرب الـديار العـامرات ، أسـقى النفـوس ، مرارة الكؤوس ، وأنـزل التيجـان من على الـرؤوس، نقل أهل القصـــور إلى القبـــور ، وســـلّ على الأحيـــاء ســـيفه المنشـور ، ألصق الخـدود بـاللحود ، وسـاوى بين السـيد والمسود ، زار الرسل والأنبياء ، وأخذ الأذكيـاء والأغبيـاء ، فاجأ أهل الأفراح بـالأتراح ، ونـادى فيهم الـرواح الـرواح ، كم من وجه بكفه لطمـــــه، وكم من رأس بفأسه حطّمه ، يأخذ الطفل وفمه في ثـــدي أمِّه ، ويخنق النــــائم ورأسه على كمِّه ، ينـزل الفارس من على ظهر الفــرس ، ويقتلع الغـارس وما غـرس ، يخلع الــوزير من الــوزارة ، ويحــطّ الأمير من الإمارة ، إذا اكتمل الشاب ، ومـاس في الثيـاب ، وصار قوي الجناب ، يُرجى ويُهاب، عفّر أنفه في الـتراب ، يدوس ذا البـأس الشـديد ، والـرأي السـديد ، ويبطح كل بطل صنديد ، ولو كان خالد بن الوليد ، أو هارون الرشيد ، يسـحب الملـوك من العــروش ، ويــركب الجيــوش على النعوش ، أسكت خطبـاء المنـابر ، وأذهل حملة المحـابر ، وشـتت أهل الـدفاتر ، وطـرح الأحيـاء في المقـابر ، كسر ظهـور الأكاسـره ، قصّـر آمـال القياصـره، زلـزل أسـاس ساسـان ، وما سـلم منه سـليمان ، وما نجا منه قحطـان وعدنان، صبّح ثمـود وعـاد ، وخـرّب دار شـداد وما شـاد ، وهــدم إرم ذات العمـــاد ، الــتي لم يخلق مثلها في البلاد، لا يـترك السـلاطين ، حـتى يوسـدهم الطين ، لا تظن أنك منه ناج ، ولو سكنت الأبراج .

الموت ينادي كل صباح : الرواح الـرواح ، ويصـيح كـل مسـاء : يـا حسـرة على الأحيـاء ، ويقـول للنـاس : لِـدوا للموت وابنوا للخـراب ، فكلكم يصـير إلى ذهـاب ، يـا من أعجبه شبابه ، وألهته ثيابه ، وأحـاط بـه حرسُـه وحجابُـه ، أنسيت الموت وقد وصلك ركابُه ، يا من أشـغله السـكن ، وحب الـــوطن ، وأمن المحن ، كأنـــك بـــالموت زارك ، وهدم دارك .

ســـــتنقلك المنايا عن ديــــــــــارك ... **ويبـــدلك البِلا داراً بـــــــــــــدارك**
فــدود القـــبر في ... **وترعى عين غيرك**

الموت كأس يدور على الأحيـاء ، لابد أن يشـربه أبنـاء حـواء ، المـوت ليس له موعد مناسب ، فهو يـأتي القاعد والماشي والراكب ، في ليلة الزفاف ، إذا اجتمع الأضياف ، يقدم الموت بحشوده ، ويهجم بجنوده ، يأخذ العريس أو العـــروس ، لأن مهمته قطف النفـــوس ، يهنّأ الإنســـان بالإمـارة ، ويبـارك له بـالوزارة ، ثم يشـنّ عليه المـوت الغارة .

يولـد المولـود ، ويعـود المفقـود ، ثم يفجـؤ المـوت الجميـع بروعتـه، فتمـتزج بسـمة المحب بدمعتـه ، يكتمـل الاجتمـاع ، ويلتقي الأحبـاب من كـل البقـاع ، فـإذا تمت السعاده، وكـل قلب بلـغ مـا أراده ، وصـل المـوت ففـرق الجمع ، وأسبل الدمع .

هو المـــوت ما منه ملاذ ومهـــــــرب ... **مـــتى حُـــطَّ ذا عن نعشه ذاك يـــركب**
نؤمل آمـــالاً ونرجو ... **وعـلّ الـردى مما**

وقـف أحـد الصـالحين على المقـابر ، ودمعـه يتنـاثر ، فقـال : يـا مـوت مـاذا فعلت بالأحبـاب ؟ ومـاذا صـنعت بالأصـحاب ؟ ثم أجـاب نفسـه بنفسـه ، فقـال : يقـول المـوت : أكلت الحـدقتين ، وأفـنيت العيـنين ، ونهشـت الشـــــفتين ، وقطعت الأذنين، وفصـــــلت الكفين من الرسـغين ، والرسـغين من السـاعدين ، والسـاعدين من العضدين ، والعضدين من الكتفين ، وفصلت القـدمين من

الكعـــبين ، والكعـــبين من الســـاقين ، والســـاقين من الفخذين ، والفخذين من الوركين .

أتيت القبـــــــور فناديتها ... أين المعظّم والمحتقر

تفـانوا جميعـاً فما مخـــــــــبر ... ومـــــاتوا جميعـــاً ومـــــات الخـــبر

فيا ســـــائلي عن ... أما لك فيما مضى مقامَة

إذا رأيت قصراً مشيدا ، وملكاً عتيدا ، وبأساً شـديدا ، فتذكر الموت فإذا القصر تراب ، والملك خراب ، والبـأس سراب .

إذا رأيت امــرأة حســناء ، أو حديقة غنّــاء ، أو روضة فيحـاء ، فتـذكر المـوت فـإذا الحسن مسـلوب ، والجمـال منهوب .

فضح الموت الـدنيا ، فلم يـدع لـذي لب فرحـا ، ولكن أين من صحا ، وأصلح فصار مفلحا .

بينا تـرى الإنسـان فيها مخـــــــبراً ... ألفيته خـــــبراً من الأخبـــــــــــارِ

طبعت على كـــدر ... صفواً من الأقـذار

ويل لمن أشغله ماله ، وألهاه جماله ، وصده عياله . متى الإفاقة يا من بحب الدنيا مخمور ، وببهرجها مغـرور ، أما تذكر إذا بعثر ما في القبور وحُصِّل ما في الصدور .

أين من رفـــــرفت عليهم الرايـــــات ، ورفعت لهم العلامـــــات ، وأقيمت لهم الحفلات ، وانعقـــــدت لهم المهرجانات .

صـاحِ! هـذي قبورنا تملأُ الرّحـــــــــ ـبَ فأين القبـورُ من عهــــــدِ عــــــادِ ؟
خفِّفِ الـــــوطء ما أظنُّ أدِيمَ الأ رضِ إلا من هـــــذه الأجســـــــــادِ
سِرْ إن اسطعتَ في الهـــواء رويـــــدا لا اختيالاً على رُفاتِ العبـــــــــــادِ
رُبَّ لحـــدٍ قد صـــار لحـــــداً مــــرارا ضــاحكٍ من تـــزاحم الأضــــــــــدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الأزمـــان والآبـــــاد

أين من ولّى وعـزل ، وأين من ظلم وأين من عـدل ، وأين من ســجن وجلد وقتل ، أين من حفت به الجنـــود ، واجتمعت عليه الحشود ، وخفقت على رأسه البنــود ، أين من دارت عليه الكــؤوس ، وانخلعت من هيبته النفــوس ، وطــارت بــأوامره الــرؤوس ، أين من جمع ومنع ، ووصل وقطع ، واغتنى وافتقر ، وهزم وانتصر .

بـــاتوا على قلـــلِ الأجبــالِ تحرســـهم غلب الرجــــال فما أغنتهم القلل
واستنـــزلوا بعد عز من معــــــاقلهم إلى مقــــابرهم يا بئس ما نزلـــــوا
تلك الوجــوه الــتي كـــــانت محجبةً من دونها تضــــرب الأســــتار والحلل

بعض السلف ذكر الموت فخـارت قـواه ، وصـاح أوّاه، وبعضهم كاد أن يطير لبه ، وأن يتفطر قلبه .

إذا رأيت الإخوان والجيران والخلان ، **فتذكر كل من عليها فان .**

إذا أبصرت البستان والأفنان والأغصــان ، **فتذكر كل من عليها فان .**

إذا شاهدت القصور والدور والحبـور والســرور فتـذكر يوم يبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور .

الله سـمّى المـوت مصـيبه ، وأنت عنه في غيبه ، أخذ القـــوي والضــعيف ، والوضـــيع والشــريف ، والغـــالب والمغلوب ، والسالب والمسلوب ، قـبر الغـني جـوار قـبر الفقير ، وقبر المأمور بجانب قبر الأمير .

الموت مباغت لا يستأذن ، ومهاجم لا يُـؤمَن ، لا يـترك شـاباً ليكتمل شـبابه ، ولا صـاحباً ليتمتع به أصـحابه ، ولا حبيباً يستأنس به أحبابه ، يفصّل الثوب فيأخذ صـاحبه قبل أن يلبس ، ويبنى المجلس فيخترم المـوت البـاني قبل أن يجلس ، تزف المرأة لزوجها فيهاجمه الموت ليلة الزواج ، يزرع الزارع فيختلسه الموت قبل النتاج ، الموت له صـور وأشكال ، ومشاهد وأحوال ، مرة يقتل بسـيف أو بـرمح ، أو داء أو جـرح ، أو بعـرق ينبض ، أو بعضو يمـرض ، أو بحـــرب هائله ، أو مجاعة قاتله ، المهم أنه لابد منه ، ولا محيص عنه ﴿ قُـلْ إِنَّ الْمَـوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْـهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ يصبّحكم أو يمسّيكم ، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمْ الْمَـوْتُ وَلَـوْ كُنتُمْ فِي بُـرُوجٍ مُشَـيَّدَةٍ ﴾ ، أو دونكم جنـود مؤيّده ، كل شـيء هالك إلا وجهه الكـريم ، وكل حي فـانٍ إلا الحي القيوم .

المـوت يسـقط الطيـور ، ويخطف الصـقور ، ويلتهم النسـور ، يصـيد المـوت كل عائمـه ، ويـدرك كل هائمه ، ويجتـــاح كل ســـائمه ، يزحف على الحيوانـــات ، والعجمـاوات ، والحشـرات ، يـدخل القصـور والأكـواخ ، ويصرع الأطفال والأشياخ ، فسبحان من خلق الموت آية ، وجعله نهاية ، وصـــيره لكل حي غاية . ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾

زار الرسل والأنبيـاء ، ووفد على الأصـفياء والأوليـاء ، وطاف على الحكماء والعلماء والأدباء والشعراء ، فسـقى الجميع بكأسه ، وهشم الكل بفأسه ، فلا صـــاحب القصر نجا ، ولا محب الـدنيا عمّر ولو رجا ، ولا الكـاره له سـلم منه ولو ذمّه وهجا ، ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَـرٍ مِنْ قَبْلِـكَ الْخُلْـدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ .

نعد المشـــرفية والعـــوالي **وتقتلنا المنـون بلا قتـــالِ**
ونرتبط السـوابق **فما ينجين من**

أخـرج المـوت وسـاوس ساسـان ، وما سـلم منه سليمان ، وخـرّب ما شـيده وشـاده شـداد ، وعـاد بالكسر على عود ثمود وعاد ، وحط قحطان ، وأعدم عدنان .

المـــــوت يفجؤ بعد العين بــــــــالأثر
فما البكـــــــاء على الأشـــباح والصـــورِ
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة
عن نومة بين نــــاب الليث والظفـــــــرِ
هي المنايا وقــــاك الله ســـــــطوتها
دكت عــــــروش ذو التيجـــان والخطـــرِ
ومـــــــرّغت قيصر الــــــرومي ودولته
وألصقت خد كســرى أضـــيق الحفـــــرِ
ليت المنايا رعت من كـــــان ذا همم
وزلـــــزلت أشــــبه الأحيـــاء بــــالبقرِ
وليتها إذ فدت عمراً بخارجة
فــــدت عليّـــاً بمن شـــاءت من البشـــر

فهـرس الموضــوعــات

المـوضــوع
الصفحـة

المـوضــوع
الصفحـة

المـوضــوع
الصفحـة